كتاب

أخبار النساء

(تأليف)

العلامة الهمام شيخ مشايخ الاسلام الاستاذ
الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن بكر الزرعى
الدمشقى الحنبلى المعروف بابن قيم الجوزية المولود
فى سنة ٦٩١ والمتوفى فى سنة ٧٥١ رحمه الله
تعالى آمين

(على نفقة)

(مكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى)
(وأخيه بجوار المسجد الحسينى بمصر)

(الطبعة الاولى)

(بمطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر)
(المحمية سنة ١٣١٩ هجريه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء فأقول ومن الله تعالى القبول

(باب فى أوصاف النساء)

قال معاوية لصعصعة أى النساء أحب اليك قال المواتية لك فيما تهوى قال فأيهن أبغض اليك قال أبعدهن لما ترضى قال معاوية هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال معاوية) ما رأيت نهما فى النساء الا عرف ذلك فى وجهها (شكت) امرأة الى زوجها قلة اتيانه اليها فقال لها أنا وأنت على قضاء عمر قالت ما قضى عمر قال قضى عمر أن الرجل اذا أتى امرأته فى كل طهر فقد أدى حقها (وقع) بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع فقالت له أبعدك الله كلما وقع بيننا شر جئتنى بشفيع لا أطيق رده جاء رجل الى على رضى الله عنه فقال له ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها وعلى اثمها (غزا) ابن هبيرة الغسانى الحرث بن عمر فلم يصبه فى منزله فاخرج ما وجده واستاق امرأته فاصابها فى الطريق وكانت من الجمال فى نهاية فاعجبت به فقالت له اخج فوالله لكأنى به يتبعك كانه بعير أكل مرارا فبلغ الخبر الحرث فاقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها هل أصابك فقالت نعم والله

ما اشتملت النساء على مثله قط فلطمها ثم أمر بها فوقفت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت ثم أنشد

كل أنثى وان بدا لك منها * آية الود حبها خيتعور
ان من غره النساء بود * بعد هذا لجاهل مغرور

قال بعض الحكماء لم تنه قط امرأة عن شيء الا فعلته الغنوي

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

(غيره) لا تأمن الانثى حياتك ودها * ان النساء ودادهن مقسم
اليوم عندك دلها وحديثها * وغدا لغيرك كفها والمعصم

(سئل) أعرابي عن النساء وكان ذا هيبتهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيئاً جودت التي تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة في قومها الذليلة في نفسها الودود الولود التي كل أمرها محمود (طلق) رجل امرأته فقالت له أبعد صحبة خمسين سنة قال ما لك عندنا ذنب غيره (قال عبد الملك بن مروان) من أراد أن يتخذ جارية المتعة فليتخذها بربرية ومن أراد الولد فليتخذها فارسية ومن أرادها الخدمة فليتخذها رومية (قال الاصمعي) بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الابطال كابن عجمية (ذكر) أن معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق وكان المجلس مفتح الجوانب لدخول النسيم فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه اذ نظر الى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلا حافيا وكان ذلك اليوم شديد الحر فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه لم يخلق الله ممن احتاج الى نفسه في مثل هذا اليوم ثم قال يا غلام سر اليه واكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيرا لاغنينه ولئن كان شاكيا لانصفنه ولئن كان مظلوما لانصرنه وان كان غنيا لافقرنه فخرج اليه الرسول متلقيا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له ممن الرجل قال سيدي أنا رجل أعرابي من بني عذرة أقبلت الى أمير المؤمنين مشتكيا اليه بظلامة نزلت بي من بعض عماله فقال له الرسول أصبت يا أعرابي ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول

معاوى ياذا العلم والحلم والفضل * وياذا الندى والجود والنائل الجزل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى * فياغيث لا تقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذى * شوانى شيا كان أيسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى * وجار ولم يعدل وأغصبنى أهلى
قصدت لارجو نفعه فاثابنى * بسجن وأنواع العذاب مع الكبل
وهم بقتلى غير أن منيتى * تأبت ولم أستكمل الرزق من أجلى
أغثنى جزاك الله عنى جنة * فقد طار من وجد بسعدى لها عقلى

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا أعرابى انى أراك تشتكى عاملا من عمالنا ولم تسمه لنا قال أصلح الله أمير المؤمنين هو والله ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة قال معاوية وما قصتك معه يا أعرابى قال أصلح الله الامير كانت لى بنت عم خطبتها الى أبيها فزوجنى منها وكنت كلفا بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة فبقيت معها يا أمير المؤمنين فى أصلح حال وأنعم بال مسرورا زمانا قرير العين وكانت لى صرمة من ابل وشويهات فكنت أعولها ونفسى بها فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله فبقيت لا أملك شيأ وصرت مهينا مفكرا قد ذهب عقلى وساءت حالى وصرت ثقلا على وجه الارض فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها وأنكرنى وجحدنى وطردنى ودفعها عنى فلم أقدر لنفسى بحيلة ولا نصرة فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم مشتكيا بعمى فبعث اليه فلما وقف بين يديه قال له مروان يا أيها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته قال أصلح الله الامير ليس له عندى زوجة ولا زوجته من ابنتى قط قلت أنا أصلح الله الامير أنا راض بالجارية فان رأى الامير أن يبعث اليها ويسمع منها ما تقول فبعث اليها فأتت الجارية مسرعة فلما وقفت بين يديه ونظر اليها والى حسنها وقعت منه موقع الاعجاب والاستحسان فصار لى يا أمير المؤمنين خصما وانتهرنى وأمر بى الى السجن فبقيت كأنى خررت من السماء فى مكان سحيق ثم قال لابيها بعد هل لك أن تزوجها منى وأنقدك ألف دينار وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها وأنا أضمن طلاقها قال له أبوها ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك فلما كان من الغد بعث الى فلما أدخلت عليه نظر الى كالاسد الغضبان وقال

الى يا أعرابى طلق سعدى قلت لا أفعل فامر بضربى ثم ردنى الى السجن فلما كان فى اليوم الثانى قال على بالاعرابى فلما وقفت بين يديه قال طلق سعدى فقلت لا أفعل فسلط على يا أمير المؤمنين خدامه فضربونى ضربا لا يقدر أحد على وصفه ثم أمر بى الى السجن فلما كان فى اليوم الثالث قال على بالاعرابى فلما وقفت بين يديه قال على بالسيف والنطع وأحضر السياف ثم قال يا أعرابى وجلالة ربى وكرامة والدى لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين جسدك وموضع لسانك فخشيت على نفسى القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة ثم أمر بى الى السجن فحبسنى فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم أطلقنى فاتيتك مستغيثا قد رجوت عدلك وانصافك فارحمنى يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدنى الارق وأذابنى القلق وبقيت من حبها بلا عقل ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض ثم أنشأ يقول

في القلب منى نار * والنار فيه الدمار
والجسم منى سقيم * فيه الطبيب يحار
والعين تهطل دمعا * فدمعها مدرار
حملت منه عظيما * فما عليه اصطبار
فليس ليلى ليل * ولا نهارى نهار
فارحم كئيبا حزينا * فؤاده مستطار
اردد على سعادى * يثيبك الجبار

ثم خر مغشيا عليه بين يدى أمير المؤمنين كانه قد صعق به قال وكان فى ذلك الوقت معاوية متكئا فلما نظر اليه قد خر بين يديه قام ثم جلس وقال انا لله وانا اليه راجعون اعتدى والله مروان بن الحكم ضرارا فى حدود الدين واجترارا فى حرم المسلمين ثم قال والله يا أعرابى لقد أتيتنى بحديث ما سمعت بمثله ثم قال يا غلام على بدواة وقرطاس فكتب الى مروان أما بعد فانه بلغنى عنك أنك اعتديت على رعيتك فى بعض حدود الدين وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين وانما ينبغى لمن كان واليا على كورة أو اقليم أن يغض بصره وشهواته ويزجر نفسه عن لذاته وانما الوالى كالراعى لغنمه فاذا رفق بها بقيت معه واذا كان لها ذئبا فمن يحوطها بعده ثم كتب هذه الابيات

وليت ويحك أمراً لست تحكمه * فاستغفر الله من فعل امرئ زان
قد كنت عندي ذا عقل وذا أدب * مع القراطيس عشالا وفرقان
حتى أتانا الفتى العذري منتحبا * يشكو اليناببث ثم أحزان
أعطي الاله يمينا لا أكفرها * حقا وأبرأ من ديني ودياني
ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة * مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت في بشر * ولا كفعلك حقا فعل انسان
فاختر لنفسك اما أن تجود بها * أو أن تلاقي المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب وقال على بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد فلما وقفا بين يديه قال اخرجا بهذا الكتاب الى مروان بن الحكم ولا تضعاه الا بيده قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه فسلما ثم ناولاه الكتاب فجعل مروان يقرأه ويردده ثم قام ودخل على سعدى وهو باك فلما نظرت اليه قالت له سيدي ما الذي يبكيك قال كتاب أمير المؤمنين ورد علي في أمرك يأمرني فيه أن أطلقك وأجهزك وأبعث بك اليه وكنت أود أن يتركني معك حولين ثم يقتلني فكان ذلك أحب الي فطلقها وجهزها ثم كتب الى معاوية بهذه الابيات

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد * أوفي بنذرك في رفق واحسان
وما ركبت حراما حين أعجبني * فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
اعذر فانك لو أبصرتها لجرت * منك الاماني على أمثال انسان
فسوف يأتيك شمس لا يعادلها * عند الخليفة انس لا ولا جان
لولا الخليفة ما طلقتها أبدا * حتى أضمن في لحد وأكفان
على سعاد سلام من فتى قلق * قد خلفته بأوصاب وأحزان

ثم دفعه اليهما ودفع الجارية على الصفة التي حدث له فلما وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال والله لقد أحسن في هذه الابيات ولقد أساء الى نفسه ثم أمر بالجارية فادخلت اليه فاذا بجارية رعبوبة لا تبقي لناظرها عقلا من حسنها وكمالها فعجب معاوية من حسنها ثم تحول الى جلسائه وقال والله ان هذه الجارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسن الصفة لقد كملت النعمة لمالكها

فاستنطقها

فاستنطقها فاذا هي أفصح لسان العرب ثم قال علي بالاعرابي فلما وقف بين يديه قال له معاوية هل لك عنها من سلو وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين وأجعل لك ولهن حظا من الصلات والنفقات فلما تم معاوية كلامه غشي على الاعرابي وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها فلما أفاق قال له معاوية ما بالك يا أعرابي قال شر بال وأسوأ حال أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان ثم أنشأ يقول

لا تجعلني هداك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في قبري وأحجاري
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار
أطلق وثاقي ولا تبخل علي بها * فان فعلت فاني غير كفار
فاجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم * لا فعل غيرك فعل اللؤم والعار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول

أبى القلب الا حب ليلى وبغضت * الى نساء ما لهن ذنوب
وما هي الا أن أراها بغاءة * فابهت حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا أعرابي قال نعم يا أمير المؤمنين قال انك مقر عندنا أنك قد طلقتها وقد بانت منك ومن مروان ولكن نخيرها بيننا قال ذاك اليك يا أمير المؤمنين فتحول معاوية نحوها ثم قال لها يا سعدى أينا أحب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره أو مروان في غصبه واعتدائه أو هذا الاعرابي في جوعه وأطماره فاشارت الجارية نحو ابن عمها الاعرابي ثم أنشأت تقول

هذا وان كان في جوع وأطمار * أعز عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله * وكل ذي درهم منهم ودينار

ثم قالت لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ولقد كانت لي معه

صحبة جميلة وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء وعلى الشدة والرخاء وعلى العافية والبلاء وعلى القسم الذى كتب الله لى معه فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها فى صدقات بيت المسلمين (قال أبو الخطاب) كان عندنا رجل أحدب فسقط فى بئر فذهبت حدبته وصار آدر فدخل عليه جيرته يهنونه فقال الذى جاء شر من الذى مر ((ذكر)) أعرابى رجلا جميلا فقال والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ولو رأته عاتق الخدر لطار خمارها وقال بعض الاعراب

ماذا تظن سليمى ان ألم بنا * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
حلو فكاهته خز عمامته * فى كفه من رقا ابليس مفتاح

((ويروى)) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضى الله عنها تنظر اليها فقال لها كيف رأيتها قالت ما رأيت طائلا قال لقد رأيت طائلا ولقد رأيت خالا بخدها اقشعرت كل شعرة فيك فقالت ما دونك ستر يا رسول الله ((ويروى)) عن حيان بن عمير انه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمر رجل فى أقصى الدار فرأيت صورته فى وجه قتادة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح وجهه ((وعن عون بن عبد الله)) أنه قال من كان فى صورة حسنة ونسب وحسب ووسع عليه فى الرزق كان من خلصاء الله ((ويروى)) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا فى القراءة سواء فأصبحهم وجها (وعن ابن عباس) أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الفلج قال حليلان المغنى دخلت دار هرون الرشيد فاذا أنا بجارية خماسية أحسن الناس وجها على يدها سطران مثكوبان بالغالية فقرأتهما فاذا هما ما عمل فى طراز الله فتنة لعباد الله ((وقال بعضهم)) سمعت يحيى بن سفيان يقول رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار فما رأيت وجها قط أحسن من وجهها صلى الله عليها قال فقلت له يا أبا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك فقال وما تنكر على من ذلك صلى الله عليها وعلى كل مليح يا ابن أخى الصلاة رحمة (قال) خرج شامة بن لؤى بن غالب من مكة حتى نزل بعمان على رجل من الاسد وكان

شامة

شامة ابن لؤى من أجل خلق الله فقراه وبات عنده فلما أصبح تعديتن فنظرت اليه زوجة الاسدى فأعجبها فلما رمى مضت الى سواكه فأخذتها فمصتها فنظر اليها زوجها فحلب ناقة وجعل فى اللبن سما وقدمه الى شامة فغمزته المرأة فأراق اللبن وخرج يسير فبينما هو فى موضع يقال له خرق الجلمية أهوت ناقته فى عرفجة فانتشلتها وفيها أفعى فنهشت مشفرتها فحكتها على ساق شامة فمات فقالت الازد

اذا ناقتى حلت بليل ففارقت * جميلة لما أبت منها قرينها
فقلت لها حثى قليلا فانتى * واياك نخفى عبرة ستزينها
غدرت بنا بعد الصفاء وخنتنا * وشر صداق خلة من يخونها

(قال سليمان بن أبى سمح) تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما نقلها اليه قالت له مافعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا مارأيتها ههنا فقال يحجزها عنا هذان الجبلان فأنشأت تقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست * على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو يشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها

(قال الزبير) حدثنى أبى قال كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تحبه ويحبها وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق وكل ذلك يحتمله لشدة محبته اياها فلما ساءت حاله وكثر دينه قال

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكى الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت * قلوب ذوى القربى له أن تنكرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث يبتغى * من الناس الا من أجد وشمرا

فلما أصبح قال لامرأته أنا والله أحبك ولا صبر لى على ما نحن فيه من ضيق العيش فجهزينى فجهزته فخرج حتى قدم على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فقام بين الصفين فأخبره بحاله وأنشده الشعر فرق له وأمر له بألف دينار وقال له قد دلنى حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخذ وانصرف اليهم فأخذها

وانصرف راجعا ((وأنشد)) الزبير بن بكار لجميل بن معمر

من كان في حب الحبيب حبيبه * حدود لقد حلت على حدود
ألا أيها الغيران بي ان أحبها * بعطلك يفني حبها ويزيد
فلو مت كان الموت يخلف الهوى * لها في فؤادي وجده وهو جديد
وتحسب نسوان اذا جئت زائرا * بثينة اني بعضهن أريد
فتخبركم عنا جنوب مضلة * وتخبرنا عنكم العشى برود
اذا بلغتكم حاجة رجعت لنا * اليكم بأخرى مثلها فيعود

وأنشد أيضا لجميل بن معمر العذري

تمتعت منكم يا بثين بنظرة * على تجمل والناعجات وقوف
فيا حبذا أم الوليد ومربع * لنا ولها بالمنحنى ومصيف
بثنتان يسترن الوشاح عليهما * وبطن كطي السابري لطيف

وأنشده في مثل ذلك أيضا

بثينة قالت يا جميل وسودت * مجال القذى منها بثينة بالكحل
أتصرم حبلي يا جميل وقادني * اليك الهوى قود الجنيبة بالحبل
وقالت لقينا ما لقيت من الهوى * فأمسى رأسي من دهان ولا غسل

(قال على بن المغيرة) كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لابيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تخلل بكرة فقال لها أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء لقد جشعت ونهمت وان كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا يبعد الله غيرك والله ما هو والذي ظننت ولكنه استقت بين أسناني شظية من السواك وكان سبب قول النميري فيها ان أباها يوسف بن الحكم مرض فكان يزيد بن معاوية قد ولاه صدقات الطائف وأرض الشراه فنذرت ان الله عافاه ان تمشي الى الكعبة معتمرة من الطائف وبين الطائف ومكة يومان وليلتان فمشت ذلك في اثنين وأربعين يوما وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميري وهو محمد بن عبد الله بن غير الثقفي ببطن نعمان فقال

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة عطرات

تهادين ما بين المحصب من منى • وأقبلن لا شعثا ولا غبرات

مررن بفخ رائحات عشية • يلبين للرحمن معتجرات

لها أرج بالعنبر الورد فاغم • تطلع رياه من الكفرات

يخبين أطراف البنان من التقى • ويمشين شطر الليل معتجرات

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها • وأبدت بنان الكف للجمرات

ومالت تراآى من بعيد فأقدمت • برؤيتها من راح من عرفات

تقصدن لبي يوم نعمان انني • بليت بطرف [illegible] اللحظات

يظاهرن أستارا ودورا كثيرة • ويخطفن دون الدور والحجرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت • وكن من أن يلقينه حذرات

دعت نسوة شم العرانين كالدمى • أوانس [illegible] كالظبيات

فأبدين لما قمن يحجبن دونها • [illegible]

فقلت يعافير الظباء تناولت • [illegible]

فلم تر عيني مثل ركب رأيته • [illegible]

وكدت اشتياقا نحوها وصبابة • تقطع نفسي [illegible]

وغادرت من وجدي بزينب غمرة • من الحب [illegible]

وظل عذابي يظهرن ملامتي • على لوعة لا [illegible]

فراجعت نفسي والحفيظة بعدما • [illegible]

وقد كان في عصياني النفس زاجر • لذي عزة [illegible]

(قال مسلم بن جندب الهذلي) كنت مع عبد الله بن [illegible] خلفه وهو ينشد أقبح الشعر فقلت [illegible] الحجاج بن يوسف للمقتل الحجاج عبد الله بن [illegible] حتى قام في آخر الناس ولم يبعد من [illegible] أنشدني ما قلت وأنشده قصيدته [illegible] انج لا نجوت ولا تعد فقال [illegible] من الحجاج عاد بابيه يوسف بن الحكم [illegible] قام اليه يوسف بن الحكم وقال يا أمير [illegible]

به العربي ابنة عمه وقد علمت أن هذا الرزل يتقلب عليه قال عبد الملك أليس النميري قال بلى قد سمعت شعره فما سمعت مكروها ثم أقبل على الحجاج وقال لا تعرض له ويقال ان عبد الملك لما بلغه شعر النميري كتب الى الحجاج قد بلغني ما كان من قول النميري فلا تدنه فتقطعه ولا تقصه فتغره ولكن أهمله والهعنه فلم يهجه الحجاج ومن قوله فيها

تشتو بمكة نعمه ❊ ومصيفها بالطائف

أكرم بتلك مواقفا ❊ وبزينب من واقف

((ومن شعره فيها أيضا))

وما أنس من شئ فلا أنس شاديا ❊ بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

تشربه لون الزارقي بياضه ❊ أو الزعفران خالط المسك أذرعه

(قال الزبير بن بكار) حكى الحسن بن علي مولى بني أمية قال خرجت الى الشام فلما كنت بالسماوة ودنا الليل رفع لي قصر فاهويت اليه فاذا أنا بامرأة لم أر قط مثلها حسنا وجمالا فسلمت فردت على السلام قالت ممن أنت قلت من بني أمية قالت مرحبا بك انزل فأنا امرأة من أهلك فأنزلتني أحسن منزل وبت أحسن مبيت فلما أصبحت قالت ان لي اليك حاجة قلت ماهي فأشارت الى دير وقالت ان في ذلك الدير ابن عمي وهو زوجي وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير فمضى اليه وتعظه فخرجت حتى انتهيت الى الدير فاذا برجل في فنائه من أحسن الرجال وأجلهم فسلمت عليه فرد وسأل فاخبرته من أنا وأين بت وما قالت المرأة فقال صدقت أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم ثم صاح يا قسطا فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها فقال هذه قسطا وتلك أروى وأنا الذي أقول

وبدلت قسطا بعد أروى وحبها ❊ كذاك لعمري يذهب الحب بالحب

وما هي اما ذكرها بنطيبه ❊ كبدر الدجى أوفى على غصن رطب

(قال الزبير بن بكار) حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبي عبيدة ابن المنذر بن الزبير عند أبي بكر بن عبد الرحمن من محرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ولا مال له وكانت تضن عنه فخرج يريد الشام يطلب الرزق فلما كان

ببعض الطريق رجع فمر بجلسائه بالمصلى فقالوا ازاد خير ثم دخل عليها فقالت له أبخير رجعت فقال لها

بينما نحن من بلاكث فالقا * ع سراعا والعيس تهوي هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـــراك وهنا فما استطاع مضيا
قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين حث المطيا

فقالت له لاجرم والله لا شاطرنك مالي فشاطرته اياه ولم تدعه للسفر بعد (ابراهيم ابن حسن بن يزيد) عن شيخ من ساكني العقيق قال اني لواقف بالعقيق وقد جاء الحاج اذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة فنظرنا اليها فاعجبنا حالها فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان عدلت الينا ونحن ننظر فنزلت ودخلت قصرا من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت فركبت ومضت وان عينيها لينقطان دموعا فقلت لانظر ما صنعت هذه المرأة فدخلت القصر فاذا كتاب بواجهي في الجدار فقرأته فاذا هو

أليس كفى حزنا الذي الشوق أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا
بلى ان ذا الشوق الموكل بالهوى * يزيد اشتياقا كلما حاول الصبرا

وتحته مكتوب وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفي عنها (ذكروا) عن عائشة رضي الله عنها أنها لما قدمت البصرة خطبت وبحضرتها الاحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال من وجوه العرب فقالت بعقب ذلك اني أتيت أطلب بدم الامام المذكور بحرمته الحرمات الاربع فمن ردنا عنه بحق قبلناه ومن ردنا عنه بباطل قاتلناه فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين قال لها موسى بن طلحة قد فهمنا كلامك فما الاربع حرمات فقالت حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الامامة وحرمة الخئونة لا يصلح أمراء بعده أبدا فقال لها الاحنف رحمه الله اني سائلك ومغلظ لك في المسئلة فلا تجدين علي أعندك عهد من رسول الله في خروجك هذا قالت لا قال لها أعندك عهد من رسول الله انك معصومة من الخطأ قالت لا قال لها صدقت ان الله رضي لك المدينة فأبيت الا البصرة وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت بيت الحرسة الضبي ألا تخبريني يا أم المؤمنين أللحرب قدمت أم للصلح قالت بل

الصلح فقال لها والله لوقدمت بينهم الا الحقق بالنعال والقذف بالحصبا ما اصطلحوا على يديك فكيف والسيوف على عواتقهم قالت لقد استغرق حكم الاحنف هجاءه اياى الى الله أشكوا عقوق أبنائى (ذكروا) أنه لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأسر من معه أمر بضرب رقابهم فقال رجل منهم أيها الامير انى أتيت اليك بشئ قال وما هو قال انى كنت جالسا يوما عند عبد الرحمن فأخذ فى عرضك فناضلته عنك قال ومن يشهد لك بذلك فقام رجل من الجماعة يشهد له بما قال فقال اتركوه ثم قال للرجل أفلا كنت مثله قال له بغضى فيك لم يدعنى أتكلم فيك بمثل ذلك فقال واتركوا هذا الصدقه ثم قام رجل آخر فقال أيها الامير لئن كنا أسأنا فى الخطأ لما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم أحد

((باب يذكر فيه من صيره العشق الى الاختلاط والجنون))

(قال بعضهم) مررت بقورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب يقال له عبد العزيز ليعالجه فسلمت وقلت ما خبرك يا أبا محمد فقال خبرى والله مع هؤلاء المجانين ظريف أنا عاشق وهم يظنون فى جنة وقد أتونى بهذا الطبيب ليعالجنى ثم أنشأ يقول

أتونى بالطبيب فعالجونى * على ان قيل مجنون غريب
طبيب الاسر فيه عساه يوما * من الايام يعقل أو يتوب
وما صدقوا الفتى يحويه قلبى * أجل من أن يعالجه الطبيب
ومابى جنة لكن قلبى * به داء تموت به القلوب
وما عبد العزيز طبيب قلبى * ولكن الطبيب هو الحبيب

وقال آخر مررت بمجنون بيده قصبة وفيها اعذبة وهو يقول

اذا ما راية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمين

قال فأخذت بيد الغلام الذى كان يتعشقه فوقفت بين يديه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال فى ساعة بديهة

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا للموارد التلف
وأراك تحوى غير مائقة * متحرفا عن غير منحرف
يا من أطال بصده أسفى * كلفى عليك أشد من أسف

(وقال

(وقال بعضهم) [illegible]

قصة وهو يقول من كان [illegible]

في المسيرة ووقف [illegible] فكر وقال

الى من أشكيه [illegible] * [illegible]

الى كم يدوم الهجر [illegible] * [illegible]

فلا [illegible] * [illegible]

أنحب [illegible] * [illegible]

ثم قال احملوا على بركة الله [illegible]

(قال) رأيته في يوم [illegible]

بحبه وهو [illegible]

أقبلت قال من تشييع [illegible]

[illegible] * [illegible]

فلما [illegible] * [illegible]

الى [illegible] * [illegible]

وكذبت [illegible] * [illegible]

قال الحسن بن رفاعة رأيت [illegible]

فلما رآني قال يا أبا [illegible]

العذاب قال [illegible]

والرقباء لكان أشد عليهم ثم قال

أنظر الى [illegible] * [illegible]

أعلل [illegible] * [illegible]

ما كان [illegible] * [illegible]

قال وحضرته وقد [illegible]

[illegible] ثم أنشأ يقول

أما [illegible] * [illegible]

أما عاشق [illegible] * [illegible]

هيهات أنت لغيرمابي عالم * وسواك بالداء الذي بي أعلم
داء دسيس قد تضمنه الهوى * تحت الجوانح ناره تتضرم

قال ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكرا فقلت ما خبرك فقال

أقول بأعلى الصوت مابي جنة * ومابي الا حب من ليس ينصف
ومابي جنون غير أن بليتي * اذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي من أرى الموت جهرة * اذا ما بدا منه البنان المطرف

قال وكان فورك يتعشق غلاما يسمى غلبا فأتاه بعض اخوانه فقال اني خارج نحو غلب فهل من حاجة فقال

نعم أوصيك ان أبصرت غلبا * فقبل وجنتيه وان تأبى
وقل هذي وصية مستهام * اليك قتلته شغفا وحبا

(ودخل) مهدي على بعض ولاة اليمامة فسأله الوالي عن مجلسه مع ظبية واستنشده ماقال فيها من الشعر وكان ابن ظبية حاضرا فأنشده مهدي بيتين يصفها فيهما بالعفاف فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز وشاحا وألقاهما على مهدي لما وصف أمه بالعفاف (قال أحمد بن يحيى) كان القيطنون متملكا على أهل المدينة وكان قد سامهم خسفا وشرط عليهم أنه لا تدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها فزوج مالك ابن عجلان الخزرجي أخته فلما جهزها وأراد اهداءها الى زوجها وهو قاعد في مجلس الخزرج اذ خرجت أخته على الحي سافرة فغضب مالك ووثب اليها وتناولها بالسيف وقال لها افضحتيني ونكست رأسي وأغضضت بصري فقالت له الذي تريد بي أنت شر من هذا وأقبح وأفضح ان كنت تهديني الى غير بعلي فيصيبني فهذا شر من خروجي سافرة حاسرة فقال مالك صدقت وأبيك وسكت عنها فلما رجعت الى خدرها دخل اليها فقال لها هل فيك من خير فقالت فأي خير عند امرأة الا أن تنالك فقال لها اكتمي ما أريده قالت نعم فشرح لها ما عزم عليه فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها فلبست وتعطرت وتحلت ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها في جملة نسائها الى قصر القيطنون فلما خلا بها في مشربة له ودنا منها تنحى نساؤها عنها الا مالك وحده فقالت للقيطنون بحق التوراة الا أمهلتني ساعة حتى ترجع نفسي

فيها الي وتركت أختي هذه تؤانسني عندك فاني ألفتها من بين أهلي فقال نعم فلما هدأت ساعة قال تقدمي الى فراشك حتى أطلعك فقام القيطنون الى باب مشربته فأغلقه وأتى فراشه وكشف ما لك عن السيف ثم ضربه به حتى برد فاجتمع الحيان من الاوس والخزرج فسودوه على أنفسهم وملكوه اذ أراحهم من عار الدهر وذلت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأسا (قال الزبير بن بكار) كان عبد الرحمن ابن أبي عمار من عباد أهل مكة فسمي القس من عبادته فمر ذات يوم بدار سهل ابن عبد الرحمن بن عوف مولى سلامة الزرقاء وهي تغني فسمع غناءها فبلغ منه كل مبلغ فرآه مولاها وتبين ما لحقه فقال له هل لك أن تدخل اليها وتسمع منها فامتنع وأبى فقال له أنا أقعدك في موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك ولم يزل به حتى دخل وسمع غناءها فأعجبه فقال له هل لك أن أخرجها لك فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه فأخرجها اليه وأقعدها بين يديه وغنته فشغف بها وشغفت به وكان أديبا ظريفا واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس وخلا معها يوما فقالت له أنا والله أحبك فقال لها وأنا والله كذلك قالت له أحب أن أضع فمك على فمي قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال فقال لها ويحك اني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد الى الطريقة التي كان عليها من النسك والعبادة وكان يمر في بعض الايام بباب بيتها فيرسل اليها بالسلام فيقال له ادخل فيأبى وقال فيها أشعارا كثيرة وغنته بها فمنها

ان التي طرقتك بين ركائب ✱ تمشي بمزهرها وأنت حرام
باتت تعللنا وتحسب أننا ✱ في ذاك أيقاظ ونحن نيام
حتى اذا سطع الصباح لناظر ✱ فاذا الذي ما بيننا أحلام
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها ✱ فاعجب لما تأتي به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم انما ✱ طرق الضلالة والهدى أقسام

(ومنها قوله)

على سلامة القلب السلام ✱ تحية من زيارته لمام

أحب لقاءها وألوم نفسي * كأن لقاءها شيء حرام
اذا ما حسن مزهرها اليها * وحنت نحوه أذن الكرام
فمدوا نحوها الاعناق حتى * كأنهم وما ناموا نيام

وله فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ههنا لانها مستقصاة من أخبارها في كتاب طبقات المغنين (قال) وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف الى عزة وقال لها أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية قال أتروين قول كثير فيك

لقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لست أروي هذا ولكني أروي غيره حيث يقول

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

ثم عطف على بثينة فقال لها ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلهن قالت الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين فضحك حتى بدت سن له سوداء كان يخفيها وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما ((وقال محمد بن يحيى المدني)) سمعت عطاء يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا كاملا يفرح ان رأى من رآها وان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار فاليوم يشير اليها وتشير اليه فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه ((وحكى أبو الحسن المدايني)) قال هوي بعض المسلمين جارية بمكة فأرادها فامتنعت عليه فأنشدها

سألت الفتى المكي هل في تزاور * وقبلة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يذهب الهوى * تلاصق أكباد بهن جراح

فقالت له بالله انك سمعته وسألته فأجابك بهذا الجواب قال نعم فزارته وجعلت تقول اياك أن تتعدى ما أمرك به عطاء ((وروى)) عبد الرحمن بن نافع أن أبا هريرة سئل عن قول الله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال هي النظرة والغمزة والقبلة وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب مرة ثم لا يعود

وباسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال له انى أخذت امرأة فى البستان فأصبت منها كل شئ الا أنى لم أنكحها فاصنع ماشئت فسكت عنه صلى الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت الآية ((قيل لاعرابى)) ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أمتع عينى من وجهها وقلبى من حديثها وأستر منها مالا يحبه الله ولا يرضى بكشفه الا عند حله قيل فان خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك قال أكل قلبى الى حبها ولا أصير بقبيح ذلك الفعل الى نقض عهدها ((ويروى)) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طالبته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما تسر يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ((وعن عبد الملك بن قريب الاصمعى)) قال بصرت ازباء بعمر بن أبى ربيعة وهو يطوف بالبيت فتنكرت له وفى كفها خلوق فمسحته بثوبه فقال

أدخل الله رب موسى وعيسى * جنة الخلد من ملاقى خلوقا
مسحت كفها بجيب قميصى * حين طفنا بالبيت مسحا رقيقا
لو تجازى القلوب بالود أمسى * قلبها مائلا الينا شفيقا

فنظر اليه عبد الله بن عمر فى تلك الحالة ينشد الابيات فقال ما هذا زى المحرم وما يحل للمحرم أن يقول مثل هذا القول فى هذا الموضع فقال يا أبا عبد الرحمن قد سمعت منى ما سمعت فورب هذه البنية ما حللت ازارى على حرام قط ((قال الهيثم ابن عدى)) دخلت ليلى بنت عبد الله الاخيلية على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم فاستأذنته فى الانشاد فأذن لها فأنشدته قصيدة مدحته بها فلما فرغت من انشادها قال الحجاج لجلسائه أتدرون من هذه الجارية قالوا لا نعلم أصلح الله الامير ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالا ولا أجمل منها جمالا ولا أطلق لسانا ولا أبين بيانا فمن هى قال هذه ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذى يقول فيها

نأتك بليلى دارها الا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها

ثم قال لها يا ليلى ما الذى رابه من سفورك حيث يقول

وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداة سفورها

قالت أصلح الله الامير لم يرنى قط الا متبرقعة وكان أرسل الى رسولا أنه يلم بنا ففطن الحى لرسوله فأعدوا له وكمنوا وفطنت لذلك فلم يلبث أن جاء فألقيت برقعى وسفرت له فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر فلم يزد أن سلم على وسأل عن حالى وانصرف راجعا فقال الحجاج لها الله درك فهل كانت بينكما ريبة قالت لا والذى أسأله أن يصلحك الا أنه قال مرة قولا ظننت أنه خضع لبعض الامر فقلت له مسرعة هذا الشعر وأنشأت وهى تقول

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

فلا والذى أسأله صلاحك ما كلمنى بشئ بعدها استريبه حتى فرق الدهر بينى وبينه (قال أبو عثمان) قد ترى الاعرابى وظاهره ظاهر الجفاء فما هو الا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء وألطف من الهواء ومع ذلك يلق أحدهم عشيقته فيترشفها ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الورع عن وطئها وان أمكنته قال ابن هرمة ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها الحلال لها مدفوع ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس ((قال العتبى)) قيل لبعض الاعراب ما الذى ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها قال اللمس والقبل والحديث قال فهل يطؤها قال بأبى أنت وأمى ليس هذا عاشقا هذا طالب ولد (قال) وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا أن يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولبعلها من سرتها الى أخمصها وأنشد ابن الاعرابى فى مثل ذلك فللخل شطر مطلق من عقاله * وللبعل شطر ما يرام منيع

وأنشد عمرو بن العلاء فى نحوه

لها نصفان من حل وبل * ونصف كالبحيرة ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الاسفل الآخر عليه كالبحيرة فانها كانت فى الجاهلية حراما لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلأ ولا ماء وأنشد الاصمعى لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته

فهل

فهل لك فى البدال أبا زنيم * وأقنع بالاكارع والجنوب

قال ابراهيم بن بشار النظام قد يمكن الرجل ان يحتجز عن ذلك مادام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة فاما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد أن ينعظ وينشط واذا أنعظ وهو فى الازار معها انتقض العزم كما قال عبد الرحمن بن أم الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظن ذا الواشى بابيض ماجد * وبيضاء خود حين يلتقيان
دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتنى أخاها بعدما كان بيننا * من الامر مالا يفعل الاخوان

(وقد ذكرنا) أن أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ويزعمون مع ذلك أنهم يجدونها بكرا وقد عانقها فى ازار واحد سنة تامة وهولا يستظهر بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب الا من عشق غالب ولا يجوز أن تواتيه الجارية الا وبها شبه الذى به وان من عجب العجب أن يمكثا متعانقين فى لحاف واحد ثم يحتجزان عن الزنا تكرما وتحرجا وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب * ومن قول سهيل بن هرون ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان والعزبان والسكران فقال له أبو عبد الله الخليع والمنعظ يا أبا عمرو فقال والمنعظ وضحك وأنشد وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

((قال الاصمعى)) كان فتى من ثقيف شديد الحياء كريما أديبا فبينا هو جالس اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هى وأين تريد وقد كلف بها واشتد عشقه لها فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فاذا هى امرأته فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع وكتم شأنه وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه فانكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به فلم يخبرهم بشئ من أمره فدعا أخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيأ فلما أعياهم ما به وزاد سقمه حمله أخوه الى الحرث بن كلدة وكان من أطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكر غير أنه ظن أنه عاشق فخلا به الحرث فسأله فأبى أن يقر له بشئ فلما أعيا الحرث جعل

يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم والفتى ملقى بين يديه كلما سميت امرأة منهم نظر الحرث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفس واغرورقت عيناه بالدموع فعلم الحرث أمره وقال لأخيه اذهب فجئني بجميع أهليكم ولا يتخلف عني أحد منهم امرأة ولا رجلا فاني قد وقعت على دائه فخرج أخوه حتى أتى أهله فجمعهم في منزل ونقل الحرث المريض اليهم وقال لا يغيبن عنه منكم امرأة ولا رجل فلما نظر الرجل الى امرأة أخيه خف عنه بعض ما كان يجده فعرف الحرث ذلك منه فأمر بشاة فذبحت وأخرج كبدها فوضعها على النار ثم أطعمه منها فأكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه وفعل ذلك به أياما يزيده في كل يوم شيأ قليلا في مطعمه ومشربه فحسنت حاله ورجع اليه بعض جسمه فلما رأى الحرث أنه قوي بعض القوة صنع له طعاما وهيأ له شرابا ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا وأمر الحرث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه وقال احفظ حديثه وكل ما يتكلم به وحدثه كل حديث تعرفه في العشق وأخبار العشاق وأشعارهم فلما أخذ الشراب في الفتى تغنى

أهل ودي ألا اسلموا * وقفوا كي تكلموا
أخذ الحي حظهم * من فؤادي وأنتم
فهمومي كثيرة * وفؤادي متيم
وأخو الحب جسمه * أبد الدهر يسقم

فلما أصبح الحرث دعا الموكل بالفتى فسأله فعرفه بكل شيء تحدثه وأنشد الابيات التي تغنى بها فدعا أخاه فعرفه أنه عاشق لامرأته فقال له يا أخي أنا أنزل لك عنها وتتزوجها فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هاربا على وجهه فلم يقفوا له على خبر الى اليوم فسمي فقيد ثقيف ((وروى)) نافع مولى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ثلاثة نفر يمشون اذ أخذهم المطر فأووا الى غار في جبل فانحط عليهم من الجبل صخرة فانطبقت عليهم فقال بعضهم انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها فدعوا الله تبارك وتعالى فقال أحدهم اللهم انك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان فكنت أرعى عليهم فاذا رحت اليهم حلبت وبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني واني لم آت يوما حتى أمسيت فوجدتهما

قدناما فغلبت كما كنت أحلب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من
نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما فجعلوا يتضاغون تحت قدمى فلم يزل ذلك
دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة
نرى منها السماء ففرج الله له فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم أنه كانت لى ابنة عم
فاحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة
دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله
اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله جل ثناؤه فرجة وقال الآخر
اللهم انك تعلم أنى استأجرت أجيرا فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فاعرضت عنه
وتركته ثم اشتريت بحقه بقرا وراعيا لها فجاءنى بعد حين فقال لى اتق الله ولا تظلمنى
واعطنى حقى فقلت له اذهب الى تلك البقر وراعيها فخذ ذلك فقال لى اتق الله
ولا تستهزئ بى فقلت انى لا أستهزئ بك فخذ تلك البقر وراعيها فاخذها وذهب
فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرجها الله عنهم
((قال الاصمعى)) قلت لاعرابية من بنى عذرة أنتم أكثر الناس عشقا فما تعدون
العشق فيكم قالت الغمزة والقبلة والضمة ثم قالت

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت وأنتم يا حضر كيف تعدون العشق فيكم قلت يقعد بين رجليها ويجهد
نفسه فقالت يا ابن أخى ما هذا عاشقا هذا طالب ولد ((وقال)) عمر بن عبد العزيز
فى خطبته ان أصل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض ((وروى)) عن
عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا صلت المرأة خمسها
وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة ((عرض)) الحجاج سجنه يوما
فأتى برجل فقال له ما كان جرمك قال أصلح الله الامير أخذنى العسس وأنا مخبرك
بخبرى فان يكن الكذب ينجى فالصدق أولى بالنجاة فقال ما قصتك قال كنت
أخا لرجل فضرب الامير عليه البعث الى خراسان فكانت امرأته تجدنى وأنا
لا أشعر فبعثت الى يوما رسولا قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه فمضيت اليها

فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء ثم انها أظهرت لي ما في نفسها ودعتني الى السوء فابيت ذلك فقالت والله لئن لم تفعل لاصيحن ولأقولن انك لص فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هاربا وكان القتل أهون علي من خيانة أخي فلقيني عسس الامير فاخذوني فانا أقول متمثلا

رب بيضاء ذات دل وحسن * قد دعتني لوصلها فابيت
لم يكن شاني العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعرف صدق حديثه وأمر باطلاقه ((قيل لبعض الاعراب)) وقد طال عشقه لجارية ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها حديث يطول ولحظ كليل وترك ما يكره الرب وينقطع به الحب ((قال محمد بن عبيد الله الزاهد)) كانت عندي جارية فبعتها فتبعتها نفسي فصرت الى مولاها مع جماعة اخوانه فسألوه أن يقيلني ويربح على ما شاء فابى فانصرفت من عنده مهموما مغموما فبت ساهرا لا أدري ما أصنع فلما رأيت ما بي من الجهد كتبت اسمها في راحتي واستقبلت القبلة فكلما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي الى السماء وقلت يا سيدي هذه قصتي حتى اذا كان في السحر من اليوم الثاني اذا أنا برجل يدق الباب فقلت من هذا فقال أنا مولى الجارية ففتحت واذا بها فقال خذها بارك الله لك فيها فقلت خذ مالك والربح فقال ما كنت لآخذ منك دينارا ولا درهما قلت فلم ذلك قال أتاني الليلة في منامي آت فقال لي ردا الجارية على ابن عبيد الله ولك الجنة ((وكان)) عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز قدم نخاس معه قينات فتطرا بهن فتعلق بواحدة منهن فاشتد وجده بها واشتهر بذكرها حتى أتى اليه عطاء ومجاهد يعذلونه فلم يكن جوابه الا أن قال

يلومونني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فخرج حاجا فبعث الى مولى الجارية واشتراها منه باربعين ألفا وأمر قيمة جواريه فالبستها وزينتها وبلغ الناس قدومه فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار فلما أراد الشخوص استجلسه فقال له ما فعل حب فلانة قال مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب

وأمر بالجارية فاخرجت اليه وقال هي هذه قال نعم أصلحك الله قال انما اشتريتها لك فوالله ما دنوت منها فشأنك بها فهي لك مباركة وأمر له بمائة ألف درهم وقال له خذ هذا المال لئلا تهتم بها وتهتم بك قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يا أهل البيت قد خصكم الله بأشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فلتهنكم هذه النعمة وبارك لكم فيها فكان هذا الفعل بعض ما اشتهر به عبد الله بن جعفر من الجود ((وقيل لاعرابي)) أتعرف الزنا قال وكيف لا قيل فما هو قال مص الريقة ولثم العشيقة والأخذ من الحديث بنصيب قيل ما هكذا نعده فينا قال فما تعدونه قيل العنق الشديد وأن تجمع بين الركبة والوريد وصوت يوقظ النوام وفعل يوجب كثيرا من الآثام قال تالله ما يفعل هذا السيد والعبد فكيف الصديق الودود ((وقيل لآخر)) ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أطيع الحب في لثامها وأعصي الشيطان في آثامها ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميما عاره وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفنى لذتها الى اذا اللئيم ولم يلد كريم ((وقيل لآخر)) ما أنت صانع ان ظفرت بمن تحب قال أحلل ما يشتمل عليه الخمار وأحرم ما كتمه الازار وأزجر الحب عما يغضب الرب ((وقيل لليلى)) هذا قيس مات لما به من عشقك قالت ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه قيل لها فما عندك حيلة تخفف ما به قالت صبري وصبره أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ((وقيل لعفراء)) وقد بلغها ما نزل بعروة فكادت تبوح بسرها فقيل لها أما عندك له حيلة تخفف ما به فقالت والله لا بأس بذلك وأنا أشوق اليه منه ولكن لا سبيل الى احتمال العار ودخول النار ((وقيل لمية)) بعد موت قابوس ما كان يضرك لو أمتعتيه بوجهك قبل موته قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه غير أني وجدت ستره أبقى للمناق الصدر من المودة وأحمد للعافية ((وقيل)) لابنة ملك من ملوك الفرس وقد أجهدها عشق رجل من أساورة أبيها لو روحت عن قلبك بالاجتماع معه كف ذلك من وجدك قالت ان الامر على ما تصفون ولكن ما عذري اذا هتكت ستري وأظهرت أمري عند من لا يلزمه عاري ويرغمه اشتهاري والله لا كان هذا أبدا ((وحكى)) السري بن المطلب قال كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت

أجر فلما عيل صبره كتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * وبي منك في الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم يأتني منك رقعة * تقوم لقلبي في مقام العوائد

فلما وصلت الرقعة كتبت اليه

كفيت الذي تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
فوالله لولا أن يقال تظننا * بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه فقيل لعفراء ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبتيه بزورة قالت منعني من ذالك قول لكن عفراء قد صبت الى الحرث فوالله لاقتلن نفسي اثره من حيث لا يعلم بي أحد الا الله فلحقت به سريعا ((قال العتبي)) عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية وهي ابنة عمه فلم يزل به العشق حتى صار كالشن البالي فلما اشتد ما به شكا أبوه الى أبيها فزوجها له فحمل الى دارها وفيه رمق فلما دخل الدار قال أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامي قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها يا أسماء قد مات بغصة قالت والله لأموتن بمثلها ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبح ذكر الريبة وسماجة الغيبة وسقطت في المرض فلما اشتد بها قالت لاخص نسائها صوري لي صورته فاني أحب أن أزوره قبل موتي ففعلت فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها فدفنت مع الفتى في قبر واحد وكتب على قبرهما

بنفسي همامان تعاهدا هواهما * على الدهر حتى غيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

((قال العتبي)) قال أعرابي لم يكن العشق ضربا من السحر انه لسعة من الجنون ((وسئلت)) أعرابية عن الهوى فقالت هو الهوان غلط باسمه وانما يعرف ما نقول من أبكته المعارف والطلول ((وسئلت)) اعرابية عن صفة الهوى فقالت

الحب أوله ميل تهيم به * نفس المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون

يكون مبدؤه من نظرة عرضت • أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فإذا • تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وأنشد لأبي جعفر الطريفي

ليس خطب الهوى بخطب يسير • لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ • ي ولا بالقياس والتفكير
إنما الحب والهوى خطرات • محدثات الأمور بعد الأمور

(وقال أعرابي) ان الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء كما أن الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه (ولام بعض الحكماء) على الهوى فقال لو كان الذي هوى اختيارا لاخترت أن لا أهوى وأنشد هو [illegible]

أصلي فلا أدري اذا ما ذكرتها • أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
أراني اذا صليت أقبلت نحوها • بوجهي وإن كان المصلى ورائيا
وما بي اشراك ولكن حبها • وعظم الهوى أعيا الطبيب المداويا

وأنشد لأبي العتاهية

لا بارك الله فيمن كان يحسبني • [illegible]
[illegible] • [illegible]

(وأنشد لأعرابي)

والحب أغصان تراها نضيرة • [illegible]
رأيت المنايا في [illegible] • [illegible]

(وأنشد) رأيت الحب نيرانا تلظى • قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت اذا احترقت تفانت • ولكن كلما احترقت تعود
كأهل النار اذا نضجت جلود • أعيدت للشقاء لهم جلود

(وركبت) سكينة بنت الحسين بن علي [illegible] فمرت بعروة بن اذينة الليثي [illegible] فقلن لها عروة [illegible]

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به • [illegible]
ألست تبصر من حولي فقلت لها • [illegible]

كل من ترى حوالى من جوارى أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط
(وأما أهل الدعاوى الباطلة) التى ليست أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة
ولا عقولهم بذاهبة فهم عند ذوى الفراسة يكذبون وعند ذوى الظرف
محرومون فمن ذلك ماروى العباس بن الاحنف قال بينما أنا أطوف اذ بثلاث
جوار أتراب فلما أبصرننى قلن هذا العباس ودنت الى احداهن فقالت ياعباس
أنت القائل ماذا لقيت من الهوى وعذابه * طلعت على بلية من بابه
قلت نعم قالت كذبت يا ابن الفاعلة لو كنت كذلك كنت كأنما كشفت عن
أشاجع معراة من اللحم فانشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلزق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لاتجيب المناديا

(ومن ذلك) ماروى عن ابراهيم بن المهدى قال دخل على المأمون فقال بالله ياعم
هل عشقت قط فقلت نعم ياأمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه
الجثة والجسم الكبير عاشق فانشأ يقول

* وجه الذى يعشق معروف لانه أصفر منحول * الى أن قال
ليس كمن تلقاه ذا * جثة كانه للذبح معلوف

(فاجابه ابراهيم) وقائل لست بالمحب ولو * كنت محبا الذبت مذزمن
أحب قلبى ومادرى بدنى * ولودرى ماأقام فى السمن

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذوى المعرفة
والنظر وقول ابراهيم أحب قلبى ومادرى بدنى من كثرة المحال ان يتعلق القلب
بسبب فيسلم الجسم منه على حال ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر فقبح فى
اعتذاره وأنشدنى بعض المشايخ

وقائلة مابال جسمك لايرى * سقيما وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبى بحبك لم يبح * لجسمى فجسمى بالهوى ليس يعلم

والعرب تمدح أهل النحول وتذم أهل السمن والجسوم وتنفيهم عن الادب وتنسب
أهل النحول الى المعرفة وحسن البيان وأهل السمن الى الغباوة وبعد الاذهان
(زعموا) أن من غلب عليه البلغم غلظ جسمه وكبر شحمه وزاد لحمه وقل فهمه

وطال

وطال نسيانه وتعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجه المرة جف جسمه وقل لحمه وصح ذهنه ودق فهمه وانه يستدل بها على حسن أدب ذوي الالباب وصحة أذهان ذوي الآداب لا تكاد تخطي فيه الفراسة ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه وربما أنجب السمن ونجاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك البطنة تذهب الفطنة ((قال علي بن الجهم)) لما أفضت الخلافة الى جعفر المتوكل على الله أهدى اليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف وكان لها مولى قد عني بها فبرعت في فنون الادب وأجادت قول الشعر وكانت راوية ظريفة مجيدة للغناء فقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه قال فخرج علي يوما وقال لي يا علي دخلت الساعة على قينة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفرا فما رأيت أحسن منه فافعل فيه الساعة شعرا فاخذت الدواة والقرطاس فانقفل علي حتى كاني ما عملت بيتا قط فقلت يا أمير المؤمنين لو أذنت لمحبوبة أن تقول شيئا عسى أن ينفتح لي فامرها فقالت مسرعة وأخذت العود فجسته وصاغت لحنا واندفعت فغنت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي خط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الشوق أسطرا
فاعجب لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

قال علي وغضب عليها مرة وكان لا يصبر عنها فامر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن فكانت في حجرتها أياما وقد تنغص عيشه لفراقها فبكرت عليه يوما فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كاني رضيت عن محبوبة وصالحتها وصالحتني فقلت خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك انما هي عبيدتك والسخط والرضا بيدك فوالله انا لفي حديثنا اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة قال فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب العود وتغني

أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمني

كأنى قد أتيت معصية * ليست لها توبة تخلصنى

فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى فصالحنى

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره فصادمنى

قال فصاح أمير المؤمنين وصحت معه فتلقته وأكبت على رجله تقبلها فقال ماهذا فقالت يامولاى رأيت فى ليلتى هذه كأنك صالحتنى فتعللت بما سمعت قال فأنا والله قد رأيت مثل ذلك وقال ياعلى أرأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا الى الموضع الذى كنا فيه واصطلح ومازالت تغنيه هذه الابيات يومنا ذلك وازدادت حظوتها عنده حتى كان من أمره ما كان فتفرقت جواريه فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير فمازالت باكية حزينة فدعاها يوما مع من صار اليه من جوارى المتوكل فامرهن فغنين ثم أمرها فاستعفته فأبى فقلن لها لو كان فى حزننا فرح لطال حزننا معك وجىء بعود فغنت به

أى عيش يلذلى * لا أرى فيه جعفرا

كل من كان ذا ضنا * وسقام فقد برا

غير محبوبة التى * لو ترى الموت يشترى

((ومن ذلك ما حكى)) جميل بن معمر العذرى أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياجميل حدثنى ببعض أحاديث بنى عذرة فانه بلغنى أنهم أصحاب أدب وغزل قال نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان آل بثينة انتجعوا عن حيهم فوجدوا النجعة بموضع نازح فطعنوا فخرجت أريدهم فبينما أنا أسير اذ غلطت الطريق وأجننى الليل فلاحت لى نار فقصدتها حتى وردت على راع فى أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه فسلمت فرد على السلام وقال أظنك قد غلطت الطريق فقلت أجل فقال انزل وبت الليلة فاذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بى وأكرمنى وذبح شاة وأجج ناره وجعل يشوى ويلقى بين يدى ويحدثنى فى خلال ذلك ثم قام بازار كان معه فوضع به جانب الخباء ومهد لى محلا خاليا فنمت فلما كان فى الليل سمعته يبكى الى شخص كان معه فارقت به ليلتى فلما أصبحت طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله فانتسب فاذا هو من بنى عذرة من أشرفهم فقلت وما الذى جاء بك الى هذا فأخبرنى أنه كان يهوى ابنة

عم له وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه اياها لقلة ذات يده وأنه تزوجها رجل
من بنى كلاب وخرج بها عن الحى وأسكنها فى موضعه وانه رضى أن يكون لزوجها
راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها وأقبل يشكو قديم عشقه لها وصبابته بها حتى أتى
المساء وحان وقت مجيئها فجعل يتقلقل و يقوم و يقعد ثم وثب قائما على قدميه
وأنشأ يقول

مابال مية لا تأتى كعادتها * أهاجها طرب أو صدها شغل
لكن قلبى عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالى غيركم أمل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد أحلت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو أن مابى من سقم على جبل * لزال وانهد من أركانه الجبل

ثم قال لى اجلس يا أخا بنى عذرة حتى أكشف خبر ابنة عمى ثم مضى فغاب عن
بصرى فلم ألبث أن أقبل وعلى يديه محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال يا أخى
هذه ابنة عمى أرادت زيارتى فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدى وقال
على رسلك حتى أعود اليك فغاب عن نظرى فأبطأ حتى آيست من رجوعه فلم
ألبث ان أقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم قال يا أخى انك سترانى ميتا فاعمد
الى والى ابنة عمى فادرجنا فى كفن واحد وادفنا فى قبر واحد واكتب على قبرنا
هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش فى مهل * والشمل يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف ألفتنا * فصار يجمعنا فى بطنها الكفن

ورد الغنم الى صاحبها وأعلمه بقصتنا ثم عمد الى خناق وطرحه فى عنقه فناشدته الله
لا تفعل فأبى وخنق نفسه حتى مات فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما وكتبت
الشعر كما أمر ورددت الغنم الى صاحبها وأعلمته بقصتهما فحزن حزنا خفت عليه
الهلاك أسفا على مافرط من عدم اجتماعهما ((وقد روى)) عن محمد بن جعفر بن
الزبير قال كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بنى عذرة فقال له يا عذرى
بلغنى أن فيكم رقة وغزلا فأخبرنى ببعض ذلك فقال لقد خلفت فى الحى ثلاثين
مريضا مابهم داء الا الحب قد خامر قلوبهم وان فيه من المرارة والنكد والكمد

ماهو مستعذب عند أربابه مستحسن عند أصحابه حلو لا تعدله حلاوة ومر لا تعدله
مرارة قال الكميت بن زيد في ذلك

الحب فيه حلاوة ومرارة * سائل بذلك من تطعم أوذق
ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحد اذا لم يعشق

((وقال آخر))

ياأيها الرجل المعذب بالهوى * انى باحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا * فيطير منه فؤاده ويهيم
والحب داء قد تضمنه الحشا * بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لا يخفى وان أخفيته * ان البكاء على الحبيب يدوم
والحب فيه حلاوة ومرارة * والحب فيه شقاوة ونعيم
والحب أهون مايكون مبرح * والحب أصغر مايكون عظيم

((وأنشدني أحمد بن يحيى))

سلني عن الحب يامن ليس يعلمه * ما أطيب الحب لولا أنه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله * في حلق ذائقه مر ولا شهد

((وأنشد أبو الطيب))

سلني عن الحب يامن ليس يعلمه * عندى من الحب ان ساءلتني خبر
انى امرؤ بالهوى مازلت مشتهرا * لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته * لكن آخره التنغيص والكدر

((وذكر ابن عتيق)) قال بينما أنا أسير في أرض بني عذرة اذا أنا ببيت جديد
فدنوت منه فاذا بعجوز تعلل شابا قد نهكته العلة وبانت عليه الذلة فسألتها عن
خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعته يقول

من كان من أخواتي باكيا لغد * فاليوم انى أراني اليوم مقبوضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدرانى
فما تركا من سلوة يعلمانها * ولا شربة الا وقد سقيانى

فقالا شفاك الله والله ما لنا ＊ بما حملت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويلا كأنه ＊ على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء أحظى الناس عندي مودة ＊ وعفراء عندي المعرض المتوانى

ثم شهق شهقة توهمت أنها غشية فتنحيت عنه ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه فما برحنا حتى دفناه ((وبلغ العشق أيضا)) مجنون عامر الى ما ذكرناه فى موضعه قال بعضهم سمعت أعرابية تطوف وهى تقول اللهم مالك يوم القضا وخالق الارض والسما ارحم أهل الهوى وانقذهم من عظيم البلا فانك تسمع النجوى قريب لمن دعا ثم أنشأت تقول

يارب انك ذو من وذو سعة ＊ دارك بعافية منك المحبينا
الذاكرين الهوى من بعد ما رقدوا ＊ حتى تراهم على الايدى مكبينا

فقلت لها ياهذه أيقال هذا فى الطواف فقالت اليك عنى لا يرهقك الحب فقلت وما الحب فقالت جل ان يخفى ودق عن أن يرى له كمون ككمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من غد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهى قاعدة مع أتراب لها وهن يقلن لها أضر بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا أضر بنا السحاب بقطره ＊ لما رأوها بعبرتى تحكى
لا تعجبوا مما ترون فانما ＊ تلك السماء لرحمتى تبكى

وقد زعم قوم انه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر على ذوى الضنا وان خطاياهم تمحى عنهم لطول بلائهم وكثرة شقائهم ولما يلقون من القلق ويعانون من الارق ((أبو الحسن المدائنى)) عن الاصمعى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما قال الزبير بن بكار كان العرجى وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه يعشق أم الاوقص المخزومى القاضى وهى امرأة من بنى تميم فكان يتعرض لها فاذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه فمر بها يوما وهى فى بعض نسوة وهن يتحدثن فعرفها فأحب أن يراها من قرب فعدل عنها ولقى أعرابيا راكبا ومعه لبن رطب فدفع دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل على النسوة فصحن يا أعرابى أعندك

لبنى قال نعم ومال اليهن وجلس يتأمل التميمية و ينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب شيأ وهن يشربن من اللبن فقالت له امرأة منهن أى شئ تطلب يا أعرابى أضاع منك فى الارض قال نعم قلبى فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه وكان أزرق فعرفته وقالت ابن عمر ورب الكعبة وثبت فسترها نساؤها وقلن له انصرف عنا لا حاجة لنا الى لبنك فمضى منصرفا (قال العتبى) سمعت أعرابية تقول مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الريح تقلقه ولمعان البرق يؤرقه ورسوم الديار تحرقه والعذل يؤلمه والتذكير يسقمه اذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ولقد تداويت بالقرب والبعد فما نجع فيه دواء ولقد أحسن الذى يقول

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

((وقال أعرابى)) ان لى عينا دموعا وقلبا مروعا فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه مع أن داءهما دواؤهما وسقمهما شفاؤهما ((وذكر أعرابى)) وجده بامرأة فقال ما ازدادت منى بعدا الا ازددت بها قربا ((وذكر أعرابى)) امرأة وكان يواصلها فى شبابه فقال ما كانت أيامى معها الا كأباهيم القطا قصرا ثم طالت بعدها شوقا اليها وأسفا عليها فاليوم بعدها دهر والساعة شهر ((قال أبو بكر بن دريد)) كانت امرأة من لخم يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها يقال له عيسى فلما خشى أهلها الفضيحة قالوا لها ان نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك فعندها قالت

خليلى ان أصعدتما أو هبطتما * بلادا هوى نفسى بها فاذكرانيا

ولا تدعا ان لامنى ثم لائم * على سخط الواشين ان تعذرانيا

فقد شف جسمى بعد طول تجلدى * أحاديث من عيسى تشيب النواصيا

سأرعى لعيسى الود ما هبت الصبا * وان قطعوا فى ذاك عمدا لسانيا

((طلق)) أعرابى امرأته فقالت لم طلقتنى فقال لانك واسعة الثقبة حديدة الركبة خفيفة الوثبة فقالت له وأنت سريع الاراقة بطئ الافاقة ثقيل بين اليدين خفيف بين الرجلين ((وطلق)) قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك وقال

فوا كبدى على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كفيـون بعض عـلى يديه * تبـين غبنـه بعـد البياع

((وتزوج)) الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر فلما دخلت عليه نظر اليها وعبرتها تجود على خدها فقال لها بأبي وأمي مم تبكين فقالت من شرف اتضع ومن ضعة شرفت فلما كتب اليه عبد الملك بن مروان بطلاقها قال لها ان أمير المؤمنين أمرني بطلاقك قالت هو والله أبر بي ممن زوجك اياي فلما مات أبو ها لم تبك عليه فقيل لها في ذلك فقالت والله ان الحزن ليبعثني وان الغيظ ليصمتني ((وكانت)) زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثا فقالت

يا أيها الراكب الغادي مطيته * عرج أبثك عن بعض الذي أجد

ما عالج الناس من وجد ومن كمد * الا وجدت به فوق الذي وجدوا

حسبي رضاه واني في مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

((كانت)) عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجبا فأقسمت عليه أمه أن يطلقها فطلقها فذهب عقله ونحل جسمه فحضره الموت فدخلت عليه أم مالك تعوده فلما ولت قال لأمه يا عجوز ابهتك فقدا بنك في الدنيا والاثم لك في الآخرة ثم أنشأ يقول لنا حاجة في آل مروان دونها * من النفر الغر الوجوه قبيل

فمت كمدا ان كان يومك قد أتى * أو اصبر على ما خيلت فقليل

فلما خرجت عنه فاضت نفسه وما وصلت الى منزلها حتى سقطت ميتة ((قال ابراهيم بن عقبة)) طلق أعرابي امرأته وحمله على ذلك عقله فندم وأنشأ يقول

اذا ذكرت ليلى ترقرق دمعه * كأن لم تكن عين بها قبل قرت

وان ثلاثا منك لو تعلمينه * دنت دون حلو العيش حتى أمرت

((أبو العيناء)) عن أبي حمزة الغساني قال نزل أعرابي من بني أسد ببيت أعرابية من بني تميم ضيفا فأتته بقرى حاضر وماء بارد فجعل ينظر اليها من وراء الستر ثم راودها عن نفسها فقالت له يا هذا أما يقرعك الاسلام والكرم كلا وان أردت غير ذلك فارتحل فقال لها زوجيني اذا نفسك فقالت الاولياء يزوجونك نفاق أن لا يزوجوه للعداوة بين الحيين فانتسب الى بني عذرة فزوجوه فأقام عندهم زمانا ثم علموا أنه أسدي فقالوا له والله انك لكفء كريم ولكن نكره ان تنكح فينا وأنت حرب لنا فخل عن صاحبتنا وكان يحبها حبا شديدا فطلقها وقال

أحبك يا عمرو حب الحياة * ونيل المنى وبلوغ الظفر
ويعجبني منك عند اللقاء * حياة الكلام وموت النظر
وناتي الجبين شديد البياض * كثيف الجوانب مثل القمر
له وهج كضرام الحريق * يكاد يحرق جلد الذكر

قال أبو ذكوان لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا ((قال)) خرج محمد بن المشيري الخارجي البصرة في طلب ميراث له وبها نفر من قومه فأقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد فقالوا له يا أبا سليمان هل لك في امرأة مناسبة في قومها جمالا وعقلا وعفافا ورأيا قد سمعت بمقدمك فذكرت لها فزعمت أنك طلقت زوجتك التي خلفتها في بلدك فرغبت فيك فإن أحببت أقمت عندنا فما ترى من طيب بلادنا وريعنا وعلينا صداقك وما تحتاج إليه فأقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم وقال في ذلك

أسائل بالعراق فراق سعدى * ولا تبدي ولا يرها الفراق
لئن ربح الفراق أخبر سعدى * على أشد من ربح الفراق
إذا عذلوا أقول لهم لسعدى * ثلاثي لا يحل لها الطلاق
حرام أن يقول نساء قوم * تركتك أو تحدث بالرفاق

((سمعت أعرابية)) تقول لزوجها يا مفلس يا قرنان فقال لها إن كان ما ذكرت حقا فواحدة من الله وأخرى منك يا زانية وأنت طالق ثلاثا ((خاصمت)) امرأة زوجها فطلقها فقالت له يا هذا لم طلقتني وقد كنت لك ناصحة وعليك شفيقة وما في عيب إلا الضيق جيبي فقال لها زوجها لو كان الضيق في حرك ما طلقتك أبدا ((كانت)) لرجل في الأهواز صبية بالبصرة وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار فتزوج بها امرأة وانتهى الخبر إلى امرأته الأهوازية فاستغرقت كتابا على لسان بعض إخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول الحق المال الذي خلفت ولا تتأخر وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جعلا فأوصل الكتاب إلى زوجها فوجد لموتها وجدا عظيما وقال للأهوازية أصلحي لي سفرتي فإني راكب إلى البصرة ففعلت فلما أصبح الغد ركب فرسه وأعطته السفرة ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له ما أنكر اختلافك إلى البصرة إلا أن لك بها امرأة تزوجتها فقال

لها والله مالى بالبصرة امرأة للذى وقف عليه من الكتاب فقالت له لست أدرى ماتقول وانما تحلف وتقول كل امرأة لى غيرك طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فالذى وقف عليه الرجل من موت البصرية قال فى نفسه تلك ماتت فلم أغير صدر هذه فقال لها كل امرأة لى غيرك فى جميع الاقاليم فهى طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فقالت له لاتتعبن فقد طلقت الحبيبة فندم الرجل وأسقط مافى يديه ((ولما تزوجت ليلى)) صاحبة قيس بن الملوح هام على وجهه مع الوحش وكان يقول

لها فى سواد القلب تسعة أسهم * وللناس فى ذاك المكان عشير
ولست بمحص حب ليلى لسائل * من الناس الا أن يقول كثير
وتنشر نفسى بعد موتى اذكرها * فموت لنفسى مرة ونشور
أتانى بظهر الغيب أن قد تزوجت * فكادت بى الارض البراح تمور
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا * تلاق وعينى بالدموع تفور
لئن كان تيدى برداعها العلى * لأفقر منى اننى لفقير
فما أسرع الاخبار أن قد تزوجت * فهل يأتينى بالطلاق بشير

((حكى)) ابراهيم بن محمد بن عرفة قال كانت أم عبد الملك بن سعيد بن خالد بن عمرو عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فرض سعيد وهو بالبادية فعاده فدخل عليه وعنده أختها سلمى فسترها فرأى منها لمحة ثم قامت فرأى طولها فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه اياها وكانت أختها أم عثمان عند هشام بن عبد الملك فبعث الى أبيها اياك أن تزوج الوليد تريد أن تتخذه فحلا لبناتك يطلق واحدة ويتزوج أخرى فأبى ان يزوجه فقال الوليد العجب من سعيد خطبت اليه فردنى ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها فان زوجتها فهى طالق وان كنت أهواها وقد ذكرنا حديثه مستقصى فى موضعه من هذا الكتاب ((خاصمت)) امرأة زوجها الى المطلب بن حنطب المخزومى قاضى المدينة وكانت قالت له أسأت الى وأوجعتنى ووالله ما أستطيع فان نفسى تتلعى من الجوع والجهد وما أقعد الا على الوطن فقال أنت طالق ان كان لا يقعد الا على الوطن فاخبرت القاضى بما قالت وبما قال فقال القاضى يطلب المقادير ورب الكعبة ان الابل لتكون بالمكان الجدب اليابس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن فقال الزوج كأن المسألة أصلح الله القاضى أشكلت

عليك هي طالق ألف مرة ((وطلق)) علي بن منظور امرأته فندم عليها ندما شديدا فقال ما الطلاق فقدته * وفقدت عاقبة الطلاق

طلقت خير خليلة * تحت السموات الطباق

((وأحبت)) امرأة الاعرابي أن تفارقه فقال

تمنين الطلاق وأنت مني * بعيش مثل مشرقة الجمال

((قال خالد بن صفوان)) ما بت ليلة أحب الي من ليلة طلقت فيها نسائي فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل فبعثت الى بنتي سلة فيها طعام وبعثت الاخرى الى بفراش أنام عليه ((وقيل)) لامرأة كانت تطلق كثيرا مالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم قبورهم ((وقال أعرابي لامرأته))

أنوهت باسمي في العالمين * وأفنيت عمري عاما فعاما

فانت الطلاق وأنت الطلا * ق وأنت الطلاق ثلاثا تماما

((عروة بن الزبير)) عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي واني تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلة الزوج الثاني ويذوق عسيلتك ((دخل)) مدني البصرة فزوج فيها امرأة ثم حصل بينهما مشرة فقال لها أنت طالق عدد شعر استك فقالت قاتلكم الله يا أهل المدينة تسرعون الطلاق وتؤثرون الخلاق ((قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لعطاء)) بن صيفي الثقفي لو أصبت ركوة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال أفرقها في بني النجار فانها لا تعدوهم ولكن اخبرني أيما أكبر جدك ثابت أم جدتك فريعة قال لا أدري قال عطاء الفريعة كانت أكبر وقد تزوجها قبله أربعة أزواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها فقيل لها يافريعة لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال قالت يلتمسون الضيق ضيق الله عليهم ((وطلق أعرابي)) زوجته فقيل له لا تتزوج بعدها فقال مكابدة العفة أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال ((تزوج)) الفضل ابن قطن الحارثي ابنة المهلب بن أبي صفرة فجلس يوما معها يشرب فاراد الافتخار عليها فقال ان كنت ساقية يوما على كرم * كأس المدام فاسقيها بني قطن

ثم انه تحرك فضرط فقالت وأسق هذه بنى قطن أيضا فخجل وقال اذهبى فأنت طالق ((وطلق)) عطية بن أشيع محبوبة بنت عبد الله امرأته فزوجت رجلا ذميا فقال فى ذلك

لعمرى أبى سلمى ولست بشامت * بسلمى فقد أمست بها النعل زلت
وليس لمغفور لسلمى ذنوبها * وان هى صامت كل يوم وصلت
ولو ركبت ما حرم الله لم يكن * بأعظم عند الله مما استحلت

((كانت)) لبعض الصالحين امرأة تبغضه فكان اذا نهاها عن أمر دعت الله أن يريحها منه وأن يعجل طلاقها فاضجرته يوما فطلقها فسجدت لله شكرا فقال الرجل اللهم انها وضعت اليك قبا كاذبا وجها وقاحا ورفعت استا مجاهرة بالفحشاء فاجرة فوثب سنور فى البيت فافزعها فضرطت فقال الحمد لله الذى سهل فرقتك وعجل فضيحتك

((باب ما جاء فى الغيرة))

((يروى)) عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا شئ أغير من الله * وعن عبد الله بن مسعود أنه قال ان الله ليغار للمسلم فليغر وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله وغيرة يكرهها الله قلنا يا رسول الله ما الغيرة التى يحبها الله قال أن يغار أن يأتى معاصى الله وينتهك محارمه قلنا وما الغيرة التى يكرهها قال أن يغار أحدكم فى غير كنهه * وعن عبد الملك ابن عمير بن عبد الله بن بكار أنه قال الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار ((ويروى)) أن سارة كانت تحت ابراهيم خليل الرحمن فمكثت معه دهرا لا ترزق ولدا فلما رأت ذلك وهبت له هاجر وكانت أمة لها قبطية فولدت لابراهيم اسمعيل صلى الله عليهما فغارت من ذلك سارة ووجدت فى نفسها وعتبت على هاجر فحلفت لتقطعن عضوا من أعضائها فقال لها ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه هل لك أن تبرى يمينك قالت كيف أصنع قال اثقبى أذنيها وخفضيها والخفض هو الختانة ففعلت ذلك بها فوضعت فى أذنى هاجر قرطين فازدادت حسنا فقالت سارة انى انما زدتها جمالا فلم تتركه على كونها معه ووجدها ابراهيم

وجدا شديدا فنقلها الى مكة وكان يزورها فى كل وقت من الشام لشغفه بها وقلة صبره عنها ((وعن ابن أبى مليكة)) أن ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر قال فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها ((وعن علقمة)) أن معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها ضربا ((وقال بعضهم)) لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها واستدل بافراط غيرتها على افراط حرصها وهذا القول خطأ قد علمنا أن الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل وربما كان الذى يبدو من المرأة عند تسرى زوجها بالسرارى وتزوجه المهيرات وحين تراه مع بعضهن توهما للفعل ان ذلك من الطريقة والكراهة المشاركة فيه وبعض ذلك يكون من طريق الالفة والنفاسة به وليس شكل ما تلقى المرأة اذا رأت على فراشها من شكل ما يلقى الرجل اذا رأى على فراش امرأته رجلا لان المرأة قد عاينت أن الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين لما أحله الله فى الشريعة وكذلك غيرة فحول الحيوان على اناثها لان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير الى الغالب قال الراجز

* يغار والغيرة فى خلق الذكر * والامم تختلف فى الغيرة فمن الصقالبة ناس لا يتزوجون من قرب منهم فى النسب ولا الدار واذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفا عليه والمرأة من الهند اذا مات زوجها وأرادوا حرقه جاءت ليحرقوها معه والديلمى يخرج من الديلم الى حدود ما بين دار الاسلام والديلم ومعه امرأته وأخواته وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ويسلمهن الى المبتاع لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ويتزوجها ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكرا وقد عانقها فى ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب وأن من أعجب العجب ان يمكثا متعانقين فى لحاف واحد يحجران عن ألذ الامور تكرما وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب ((وقال معاوية رضى الله عنه)) ثلاث خصال من السؤدد الصلع واندماج البطن وترك الافراط فى الغيرة ((ولما)) نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم انى غيور

وأنا غيور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى ولا أغير حتى أفعل ولا آنف حتى أضام فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به انما عنى رؤية السبب لا رؤية المرافقة وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه الى قلة الغيرة وما أرى في قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الحليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

فهذا يأمرها بتزويج الانزع القليل شعر القفا والوجه ولا أرى فيه عيبا أيضا لانه انما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها في غيره وأما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فيا ليت شعري من يهيم بها بعدي

فاني لم أجد له تاويلا وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان وقال لجلسائه أو لو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون قالوا لا ندري فكيف كان أمير المؤمنين قائلا قال كان يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد الى خلة بعدي

وكان الرجل من العرب اذا خرج مسافرا بدأ بالشجرة يعقد خيطا على ساقها أو على غصن من أغصانها فاذا رجع الى أهله بدأ بالشجرة فنظر الى الخيط فان كان منحلا حكم أن امرأته خانته وان كان على حاله حكم أنها حفظته وأنشد أبو زيد النحوي

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم * كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

والرتم اسم للخيط الذي يعقد في الخنصر لتذكر الحاجة وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل بقول الشاعر

ومراقب رجع السلام بكفه * ومودع لم يستطع تسليما

(وقال آخر)

وأضحى الغيور أرغم الله أنفه * على ملتقانا قائما يتمطق

وقد مد شدقيه من الغيظ والاذى * كما مد شدقيه الحمار المخنق

(وقال الراعي)

وظل الغيور آرضا بينانه * كما عض برذون على الفاس جامح

لقد رابني أن الغيور يودني * وان ندامای الكهول الجحاجح

وصد ذوات الظعن عني وقد رأت * كالذي لمراء السنا الطواح

((وقال عبد الله بن الدمينة))

ولما لحقنا بالحمول ودوننا * خميص الحشا توذي القميص عواتقه
عرضنا فسلمنا فسلم كارها * علينا وتبريح من الغيظ خانقه
فرافقته مقدار ميل وليتني * على زعمه مادمت حيا أرافقه

((وقال مسكين الدارمي))

واني امرؤ لا آلف الالف اعد * الى جنب عرسي لا أفارقها شبرا
ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها * ليجعلها قبل الممات لها قبرا
اذا هي لم تحصن امام قناعها * فليس بمنجيها بناي له قصرا
ولا حاملي ظني ولا قول قائل * على غيرها حتى أحيط بها خبرا
فهبني امرأ راعيت مادمت شاهدا * فكيف اذا ما سرت عن بيتها شهرا

((وقال مسكين أيضا))

ألا أيها الغائر المستشيط * على ما تغار اذا لم تغر
تغار على الناس ان ينظروا * وهل يفتن الصالحات النظر
فما خير عرس اذا خفتها * وبت عليها شديد الحذر
تكاد تصفق أضلاعه * اذا ما رأى زائرا أو زفر
فمن ذا يراعي له عرسه * اذا ضمه والمطي السفر

((وثلاثة من شعراء أولاد العجم)) ممن كان مشتهرا بالغزل مذكورا بالشعر بالبادية كلهم قتلوا منهم وضاح اليمن ويسار الكواعب وسحيم عبد بني الحسحاس وانما قتلوا كفا عن أولئك النساء وحفظا لهن حين رأوا التعرض وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها الا قتلهم مخافة أن يكون ذلك القتل يحقق المقالة القبيحة ألا ترى أن الحجاج بن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن نمير في تشبيبه بزينب أخته مخافة أن يكون ذلك سببا للخوض في ذكرها فيزيد زائد ويكثر مكثر وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته حتى قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

ومن

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس حيث يقول

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا

توسدني كفا وتثني بمعصم * على وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة * ولا ثوب الا درعها ورداثيا

فما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

وعرض به ليقتلوه على الذي اتهم بها فضحكت فقال

فان تضحكي مني فيارب ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

((وحكى)) العتبي قال سمع عقيل بن علقمة المري بنتاله ضحكت فشهقت في آخر ضحكها فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت اني رجل فروق * من ضحكة آخرها شهيق

قال فنادت يا اخوتاه فبادروا فحالوا بينه وبينها ((وحكى)) أبو حاتم السجستاني عن الاصمعي قال كان عقيل بن علقمة غيورا وكان الخلفاء يصاهرونه وكانت له ابنة يقال لها الجرباء فكان اذا خرج الى الشام خرج بها لفرط غيرته فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس فلما كانوا بدير سعد قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عميس فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته اجزي يا جرباء فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت في المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك أنت ما نعت الخمر هذه صفة من قد شربها وأخذ السوط فاهوى نحوها وجاء عميس فحال بينه وبينها فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم فشك فخذيه فبرك فمضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدانى المياه منهم قالوا اللهم اسقطنا جزورا لنا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بني زملوني بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم * شنشنة أعرفها من اخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك وقد ذكرنا خبره فيما مضى ((قال)) ومما يحدث

الهوى فى قلوب النساء لغير أزواجهن ويدعوهن الى الحرص على الرجال والطلب لهن أمور منها أن يظهر لها زوجها شدة الحذر عليها والاحتفاظ بها والغيرة فى غير موضعها أو يكون الرجل منهمكا فى الفساد مظاهرا لها بالزنا فان ذلك مما يغريها بطلب الرجال والحرص عليهم كما قال الشاعر

ما أحسن الغيرة فى حينها * وأقبح الغيرة فى كل حين
من لم يزل متهما عرسه * متبعا فيها لرجم الظنون
أوشك أن يغريها بالذى * يخاف أو ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها * منك الى عرض نقى ودين
لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

((ذكر الشعبى)) ان عبد الله بن رواحة أصاب جارية له فسمعت به امرأته فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له أفعلتها يا ابن رواحة فقال ما فعلت شيأ فقالت لتقرأن قرآنا والا بعجتك بها قال ففكرت فى قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك وهى امرأة غيراء وفى يدها شفرة لا آمن أن تأتى بما قالت فقلت

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال فالقت السكين من يدها وقالت آمنت بالله وكذبت البصر قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فضحك وأعجبه ما صنعت ((وكان)) بعض العلماء لشدة شهوة الباه فى قلوب النساء وكثرة فتنهن وشدة غيرته يقول ليس المصيبة فى معاتبة الرجل المرأة انما المصيبة فى معاتبتها اياه فانها ان نظرت اليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث ان تصير فى يده وتبعث الرسائل والاشعار والتحف ((قال اسحق)) رأيت رجلا بطريق مكة تعادله فى المحمل جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف ووجهها باد فقلت له فى ذلك فقال انما أخاف عليها من عينيها لا من عيون الناس ((وقال سعيد بن سليمان)) لان يرى حرمتى ألف رجل على حال يكشف منها ولا تراهم أحب الى من ان ترى حرمتى رجلا واحدا غير منكشف ((واستأذن)) ابن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده امرأتان

من

من نسائه فقال لهما قوما وادخلا البيت فقالتا يا رسول الله هو أعمى فقال أفعمياوان أنتما

((باب من هذا الشكل))

و بالرجال أعظم حاجة الى أن يعرفوه و يقفوا عليه وهو الاحتراس من أن يلقى الخبر السابق الى السمع لانه اذا ألقى دخل ذلك الخبر السابق الى مقره دخولا سهلا وصادف موضعا وطيأ وطبيعة قابلة ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا حيلة فى ازالته ومتى ألقى الى الفتيات شئ من أمور الفتيان فى وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة وعند قلة الشواغل قوى استحكامه وصعبت ازالته وكذلك متى ألقى الى الفتيان شئ من أمورهن وهناك سكر الشباب فكذلك يكون حالهم وان الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام الغرير فيقول له لا يكن الغلام فتى أبدا حتى يصادف فتى فما الماء البارد العذب باسرع فى طباع العطشان من كلمته اذا كان الغلام أدنى هوى فى الفتوة وكذلك اذا خلت العجوز بالجارية الحديثة ((وقيل)) لابنة الحسن لزنيت بعبدك ولم تزنى بحر وما أغراك به قالت طول السواد وقرب الوساد ولو أن أقبح الناس وجها وأخبثهم نفرا وأسقطهم همة قال لامرأة قد تمكن من كلامها وأعطته سمعها والله يا سيدتى ويا مولاتى لقد أتعبت قلبى وأرقت عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا النقض طباعها وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالا وأكملهم كمالا وانما قال عمر رضى الله عنه اضربوهن بالعرى لان الثياب هى الداعية الى الخروج فى الاعراس والقيام فى المناحات والظهور فى الاعياد فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها ولو كان بعلها أتم حسنا والذى رأت أنقص حسنا لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه وكانت بما لم تنله وتستكثر منه أشد الوجد وهى به أشد استمتاعا الا كما قال

وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شيأ كاقتياد الطرائف

((وقيل)) لعقيل بن علقمة أما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوجهن قال كلا أجوعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يبطرن فوافقت احدى كلمتيه قول النبى صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى قول عمر رضى الله عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصوم وجاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن

((وأنشد الآخر)) أغار عليك من قلبي * ولو أعطيتني أملي
وأشفق ان أرى خدي * لك نصب مواقع القبل

((ويروى)) أن جميل بن معمر قال لبثينة ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاط الا أخذتني عليك الغيرة ((وعن على بن عبد الله الجعفرى)) وكان شاعرا أديبا قال كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعارى فحج أبو نواس فلما صار الى المدينة وأنا ذات يوم أنشد والناس مجتمعون على اذ دخل أبو نواس فرأيته من بين الناس ثم قال ياهذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشفت فيهما فقلت وماهما قال اللذان تقول فيهما ولما بدا لى أنها لا تحبنى * وأن هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن تبلى بغيرى لعلها * تذوق حرارات الهوى فترق لى

قلت أفلا أنشدك بيتى اللذين أتغاير فيهما قال بلى فانشدته
ربما سرنى صدودك عنى * وطلابيك وامتناعك منى
حذرا أن يكون مفتاح غيرى * واذا ما خلوت كنت التمنى

قال فسألت عنه فقيل لى أبو نواس ((قال الاشعث بن قيس)) نزلت ببعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقام الى امرأته فضربها فحجزت بينهما قال فرجع الى فراشه وقال يا أشعث احفظ شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل رجلا فيم يضرب امرأته ((قال ابن عائشة)) كان أبو الاصبع العدوانى غيورا وكان له أربع بنات فابى أن يزوجهن فقالت واحدة منهن لتقل كل واحدة منا ما فى نفسها فقالت كبراهن
ألا ليت زوجى من اناس ذوى غنى * حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق باكبادا النساء كانه * خليفة جار لا يقيم على الهجر

قال لها أنت تريدين شابا غنيا ((وقالت الثانية))
عظيم رماد القدر رحب فناؤه * نجدته يشقى بها الشيب والجزر
له خلقان الشيب من غير كبرة * تشين ولا وان ولا ضرع غمر

فقال لها أنت تريدين سيدا ((وقالت الثالثة))
ألا هل تراها مرة وخليلها * يضم كبعل الشرفى المهند
عليه رواء اليسار ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقال

فقلن لها أنت تريدين ابن عم لك قد عرفتيه وقلن للصغرى ما تقولين أنت فقالت لا أقول شيأ فقلن لها لن ندعك لانك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك فقالت لا أدري ما أقول الا انه زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جميعا ((وروى)) عن سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لابنه يابني لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة فترمى بالسوء من أجلك وان كانت بريئة ((وقال بعض الظرفاء)) كنت شديد الغيرة فاخبرت بجيء قبيحة سوداء فذهبت مع اخوان لي عندها ليلة فطفئ السراج فضربت بيدي الى صدرها فاذا دون يدي أربع أيدي فما أعلم انى خطر ببالي امرأة بعد ذلك ((قال)) كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة فحكى أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره ورنت أطياره وأزهر نبت الربيع وعلى رأسه وصائف كل واحدة أحسن من صاحبتها فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وكان سليمان مطرقا فرفع رأسه فقال أبا زيد في مثل هذا اليوم يصلب أحد حيا فقلت ياسيدي يا أمير المؤمنين أوقد قامت القيامة قال نعم على أهل الهوى ثم أطرق ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا فقلت قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولنيها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء أشربها من كفها وأمسح فمي بفمها فاطرق سليمان مليا ودموعه تنحدر فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال يا أبا زيد حللت والله في يوم فيه انقضاء أجلك وتصرم مدتك وفناء عمرك والله لاضربن عنقك أو تخبرني ما الذى أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم يا أمير المؤمنين كنت جالسا على باب أخيك سعيد بن عبد الملك واذا جارية قد خرجت الى باب القصر عليها قميص اسكندراني يبين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها ولها ذؤابة تضرب الى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها وطرة قد أسبلت على جبينها ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد تقوسا على محجرى عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة در وهي تقول عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى والعلاج مما لا ينمى طال الحجاب وأبطأ الكتاب العقل

ذاهب واللب عازب والعين عبرى والارق دائم والوجد موجود والنفس والهة والفؤاد مختلس فرحم الله قوما عاشوا تجلدا وماتوا تبلدا لو كان فى الصبر حيلة والى العزاء وسيلة لكان أمرا جميلا فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترنى وقالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الوجد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله يا أمير المؤمنين ما أكلت طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى تلك الذلفاء التى يقول فيها الشاعر

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمولاها الذى باعها منه والله لامات الا بحسرتها ولا فارق الدنيا الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت نهية قم أبازيد فاكتم المفاوضة وياغلام ثقل يده ببدرة قال فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية الى أخيه سليمان ولم يكن فى عصرها أجمل منها فملكت قلبه وغلبت عليه دون سائر جوار به فخرج يوما الى دهناء الغوطة بموضع يقال له دير الرهبان فضرب فسطاطه فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق وبهجة حفها أنواع الزهر الغض فمن بين أصفر فاقع وأبيض ساطع مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الاذفر ويؤدى تضوع عرفها فتيت العنبر وكان له مغن يأنس به ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمع حديثه يقال له يسار وكان أحسن الناس وجها وأظرفهم ظرفا فامر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى تلك المتنزه فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان فى أكمل سرور وأتم حبور الى أن أتى الليل وحان انصراف يسار الى موضعه فوجد جماعة قد أناخوا به فسلموا عليه فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم وفرح بدخولهم فاحضر الطعام فأكلوا وقدم الشراب فنالوا منه ثم قال هل من حاجة قالوا ما جئناك الا للقرى فقال بالجانب الخصب نزلتم وبالمنزل الرحب حللتم فقالوا له أما الطعام فقد أكلنا وأما الشراب فقد حضر وبقى السماع قال أما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياى عن الغناء الا ما كان فى مجلسه قالوا فلا حاجة لنا فى الطعام

عندك ما لم تسمعنا فلما رآهم غير موقلين عنه رفع عقيرته وغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها * في آخر الليل حتى ملها السهر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق * فدمعها الطروق الصوت ينحدر
في ليلة البدر لا يدري مضاجعها * أوجهها عنده أضوا أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من لينه للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت الى صحن الفسطاط تسمع الصوت فجعلت لا تسمع شيأ من خلق ولطافة قد الا الذى وافق المعنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله في نفسها فحرك ذلك سا كنا كان في قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج الى صحنه فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا يا ذلفاء فقالت يا أمير المؤمنين

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر يا غلام على بيسار فدعت الذلفاء خادما لها وقالت ان سبقت الى يسار فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر فسبق رسول سليمان فاحضره فلما وقف بين يديه وسليمان يرعد غيرة قال من أنت فقال يسار فقال سليمان

تشكل في الثكل يسارا أمه * كان لها ريحانة تشمه
وخاله يثكله وعمه * ذو شفة حياته نغمه

(فقال يسار)

واستبقني الى الصباح اعتذر * ان لساني بالشراب منكسر
فان أكن أذنبت ذنبا أو عثر * فالسيد المولى أحق من غفر

ثم قال يا يسار ألم أنهك عن مثل هذا الفعل فقال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وقوم طرقوني وأنا عبد أمير المؤمنين فان رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل قال أما حظي منك فلم أضيعه ولكن لا تركت للنساء فيك حظا أبدا يا يسار أما علمت ان الرجل اذا تغنى أصغت اليه المرأة وأن الفرس اذا صهل تودقت له الحصان وان الفحل اذا هدر صغت له الناقة يا غلام ائتني بختان فختنه فعاش بعد ذلك سنة

ومات فسمي الدير دير الخصيان وبه يعرف الى الآن وكتب الى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة ان أحص من قبلك من المغنين فخصي الدلال فقال الآن صرنا نساء حقا وادعى بعض بني مروان أن عامل المدينة صحف وانما رأى في الكتاب أحص من قبلك فقال الكاتب الذي قرأ الكتاب كيف تقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل ﴿قال اسحق بن ابراهيم الموصلي﴾ قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة وأراد سفرا أين غيرتك على من تخلف قال أخلف معهن الجوع والعري فانهن اذا جعن لم يمرحن واذا عرين لم يبرحن (وعن) المغيرة بن شعبة أن سعد بن عبادة قال لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربت رأسه بالسيف فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تعجبوا من غيرة سعد فوالله اني لأغير من سعد والله أغير مني من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقال يا أبا ثابت أكنت ضاربه بالسيف قال نعم والذي نزل عليك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شاولم يتمها أراد شاهدا لئلا يتتابع فيه الغيران والسكران ((قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة)) كان امرؤ القيس بن حجر مئناثا لا يولد له ذكر وكان غيورا شديد الغيرة فاذا ولدت له بنت قتلها فلما رأين نساؤه ذلك غيبن بناتهن في أحياء العرب وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتادا لهن حتى أناخ على حي من احياء العرب واذا جوار يلعبن فقال أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي فسكتن عنه وقالت ابنته هات فانشأ يقول

تبلت فؤادك اذ عرضت عشية * بيضاء يمسكه عليها اللؤلؤ

قال فسكتت ساعة ثم قالت

لخميلة الادحي بات يحفها * كنفا الظليم وزال عنها الجؤجؤ

فضربها بالسيف فقتلها وسار حتى نزل بحي آخر واذا بجوار يلعبن فقال أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي فسكتن عنه وقالت ابنته هات فقال

اذ ابرزت تعالى مرفقاها * على مثل الحصير من الرخام

فسكتت ساعة ثم قالت

وقاموا بالعصي ليضربوها * فهبت كالفنيق من النعام

قال فقتلها ثم سار حتى نزل الى حي آخر فاذا بجوار يلعبن فقال أيتكن تجيز لي هذا

البيت ولها راحلتي فسكت عنه وقالت ابنته هات فقال

وكأنهن نعاج رمل هائل * بدفء عدن كأعيد الشارب

فسكتت ساعة ثم قالت

بل هن أقرب في الخطا من خطوها * ان الحرائد مشيها متقارب

قال فنزل اليها فقتلها وسار (نزل أعرابي) من طي يقال له المثنى بن معروف بأبي جبر الفزاري فسمعه يوما يقول لوددت أني بت الليلة خاليا ببنت عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالي قال فوثب اليه فضرب رأسه برحاله فشجه ثم ارتحل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * على النأي اني قد وترت أبا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحاله * لنصري أمير المؤمنين ولا يدري

وما كان شيء غير أني سمعته * ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبي جبر وبعث الى المثنى بصلة جزيلة (وعن عبد الملك بن عمير) قال كانت هند بنت النعمان بن بشير الانصاري عند روح بن زنباع وكانت امرأة فصيحة أديبة برزة وكان روح رجلا غيورا فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام فجعل يضربها ويقول أتشرفين وتنظرين الى الرجال قالت ويحك وهل أرى الا جذاميا والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام فقال روح في ذلك

أثني عليك بأن باعك ضيق * وبأن أصلك في جذام ملصق

وفيه تقول هند

وهل أنا الا مهرة عربية * سليلة أفراس تجللها بغل

فان نتجت مهرا كريما فبالحرا * وان يك أقراف فما أنجب الفحل

فقال لها روح اللهم ان مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها ويقيء في حجرها ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي وكان شابا جميلا شرابا للخمر فاحبته حبا شديدا فكان يلطم وجهها ويقيء في حجرها فقالت رحم الله أبا زرعة فقد استجيبت دعوته وأنشدت للخزيمي * ما أحسن الغيرة في حينها * الى آخر الابيات المتقدمة وقال الشنفرى

اذا ما جئت ما أنهاك عنه * ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي * بسوطك لا أبا لك فاضربيني

((زل)) عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خيمته بقديد بفناء بيت من بيوت قديد وهو يريد مكة معتمرا لخطر رحله وكان رجلا جسيما من أعظم الناس بدنا وأحسنهم وجها فأرسلت اليه ربة البيت يا هذا ان لي زوجا غيورا اعرا الانسان بجانب بيتي فيضربني وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شرا فانشدك الله الا تحولت عني فأرسل اليها اني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس والتحول يشق علي قال فردت اليه الرسول حتى تحول عنها ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة فقالت هي خردية بنت أكثم وتزوجها ربيع بن أصرم ولها بني صغير سمته باسم أبيها ثم ذهبت العجوز وقال عاصم بن عمر أبيات شعر ثم دخل زوجها واستقر في منزله فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفى غيظه ثم انه أتاه فصاح به تفرج فقال له بأبي أنت ما عرضك لي فأخبره خبره وخبرها فقال بأبي أنت لو كنت معي في منزلي ما كان علي منك بأس ((قال كان عقيل)) بن علقمة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه فقال أما اذا كنت فاعلا فجنبني هجناك وخطب عقيل وقال

رددت صحيفة القرشي لما * أبت اعراقه الا احمرارا

(علي بن سليمان الاخفش) قال قال ابن الكلبي كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيورا فبنى لامرأته صرحا وجعلها فيه فنظر اليها رجل من الحي فعلقها فأتى قومه فأخبرهم وجده بها وسألهم الحيلة في أمره فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف وأتوا الى لقمان فاستودعوها اياه فوضع السلاح في بيته فلما مضى تحرك الرجل في السيوف فقامت اليه المرأة تنظر فاذا هي برجل فشكى اليها حبه اياها فأمكنته من نفسها فلم يزل معها مقيما حتى قدم لقمان فردته في السيوف كما كان وجاء قومه فاحتملوه وان لقمان نظر يوما الى نخامة في السقف فقال من تنخم هذه فقالت أنا قال فتنخمي فقصرت فقال يا ويلتاه والسيوف دهتني فقتلها ثم نزل فلقي ابنته صحرا صاعدة فأخذ حجرا

فهشم رأسها فماتت وقال أنت أيضا امرأة فضربت العرب بذلك المثل فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت الاذنب صخر ((ولى)) عمر بن الخطاب رضى الله عنه النعمان بن نضلة العدوى بميسان وأراد رحيل امرأته معه فأبت ذلك وكرهته فلما وصل الى ميسان أراد أن يغيرها فترحل اليه فكتب اليها

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية * وصاحبه يجثو على خد منسم
فان كنت ندمانى فبالاكبر اسقنى * ولا تسقنى بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فبلغت الابيات عمر بن الخطاب فقال أى والله وأبى وأبيك يسوءنى ياغلام اكتب بعزله فلما قدم على عمر بكته بهذا فقال ياأمير المؤمنين ماشربتها قط ولا قلت الابيات الا بسبب كذا فقال عمر أظن ذلك ولكن لاتعمل لى عملا أبدا ﴿ضرب﴾ البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى اذربيجان فاشترى فرسا وجارية وكان مملكا بابنة عمه فكتب ليغيرها

ألا بلغا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا الايام الغدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه دعت بالدواة وكتبت اليه

اذا شئت غنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه * منانا ولا ندعو لك الله بالرد
ولا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب الفرس وأردف الجارية ولحق بها فكان أول شئ بدأها به ان قال لها بالله أكنت فاعلة ما قلت فقالت الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أحقر وأذل من ان أعصى الله فيك ثم قالت له كيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية ورجع الى مكانه (قالت) هند بنت بشر لزوجها روح بن

زنباع وكان شديدا الغيرة محبا منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها أما جذام فانى فى أرومتها وأما الجبن فانما لى نفس واحدة فأنا أحفظها ولو كانت لى نفس أخرى لجدت بها وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك ان يغار عليها مخافة ان تجيئه بولد من غيره فتقذف به فى حجره (حكى) دعبل بن على قال عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطرا فعلقت بقلبه فقعد لها على طريقها فلما أبصرها قالت والله لو أن عبد الله بن سيرة بقربى ماطمعت فى هذا منى فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو فى البعث بأرمينية فترك مركزه وأقبل لا يلوى على أحد حتى وقف ببابها ليلا وكان يوصف بشدة الغيرة فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها أيتها المرأة من هذا الذى عبث بك حتى تمنيت أنى بقربك قالت رجل عطار قال لها فما ابتغى قالت لا قال لها فعديه الليلة القابلة وانى أسبقه الى بيتك فبعثت اليه تقول له اذ أبيت الامار يدفهلم الى بيتى الليلة عندى فأقبل اليها وقد سبقه ابن سيرة فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه ثم قتل خادمها وقال لها انما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس ثم ناولها مائة دينار وقال لها اشترى بها خادما وانفقى باقيها على نفسك ثم قال هلمى فأسا فقلع رأس البالوعة ثم جرهما فألقاهما فيها ثم سوى رأس البالوعة وقال للمرأة اظهرى أن الخادم قد أبق ثم خرج ولم يعلم به أحد ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال فى ذلك

ان المنايا لغيران لمعرضة * يغتاله النمر أو يغتاله الاسد
أو عقرب أو شجى فى القلب معترض * أو حية فى أعالى منتهى الزبد

(كانت لابن الدمينة) امرأة يقال لها حما وكان مزاحم بن عمرو السلولى يأتيها ويتحدث اليها فنهاها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه فقال ابن مزاحم عند ذلك يذكرها

يا ابن الدمينة والاخبار تحملها * وخد النجائب تبديها وتنميها
أمارة كية ما بين عانتها * وبين سرتها لا شك كاويها

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التى فى زوجته وعلم أنه لم يرد ذلك منها الا وقد أفضى اليها فأتى امرأته فقال قد بلغنى غشيان مزاحم اليك وقد قال فيك ما قال

فأنكرت ذلك وقالت والله ما رأى ذلك الموضع قط قال فما أعلمه بعلامتك التى
وصفها قالت النساء وأين ذلك اذ كنت جارتهن فحدثن به فسمعه مزاحم وتغافل
ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظن أنه قد ذهب من قلبه ثم قال لامرأته لئن لم ترسلى
اليه الليلة يأتيك فى موضع كذا لاقتلنك فأرسلت اليه انك قد سمعت بى ولا أحب
أن يأتينى وأنا آتيك فى موضع كذا فقعد فى الموضع ابن الدمينة وأصحابه وجاء
مزاحم وهو يظن انها فى الموضع الذى وعدته فخرجوا اليه وأوثقوه وصروا صرة
من رمل فى ثوب وضربوا بها كبده حتى مات واحتملوه حتى ألقوا به ناحية دور قومه
فطرحوه بها وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح فعلموا أن ابن الدمينة قتله
ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها وطلبه السلوليون فلم يجدوه
((وحكى الثورى)) أن رجلا من بنى عقيل تعلق جارية وأبى أهلها ان يزوجوه
اياها وكانت من أجمل النساء وكان اسمها ليلى فسمع بها رجل موسر من ثقيف
يقال له حارثة بن عوف فقدم على أهلها فأرغبهم فزوجوه وظعن بها فقال
العقيلى الذى كان تعلقها

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * تقطع الا من ثقيف وصالها
كأن مع الركب الذين تحملوا * غمامة صيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه فخرج فى أثرها حتى قدم الطائف فانتسب انه أخ لها
وصدقت هى فأدخله زوجها وذبح له ونحر وكان صاحب خمر فجلس هو والثقفى
يشربان وهى تسقيهما فلما أخذت الخمر فى العقيلى باح بسره فلما سمعه الثقفى هم به
ثم غلبه السكر فخرج العقيلى تحت الليل وتبعه الثقفى با كلب له عقر فأدركه وقد
شارف بلاد بنى كليب وقد غلبه العطش فمات فخلى أكلبه على جيفته فأكلته
فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا فى أثر الثقفى فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه
أكلبه فأكلته وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا الى المرأة فطرقوها فى منزله
فقتلوها ورحلوا فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها فقال جار الثقفى

لعمرى لقد ساق العقيلى حتفه * وما خبر ليلى كان عنها بابعد
وخبر الفتى القيسى قد سيق نحوه * وأمسى مقيما بين أضلاع أزبد
أقاموا جميعا رهن أجواف أكلب * كذلك أمر الله فى اليوم والغد

(ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الغيرة من الايمان وأيما رجل حس بشئ من الفجور فى أهله فلم يغيره الا بعث الله اليه ملكا يقول له غير أربعين يوما فان لم يفعل مسح بجناحه على عينيه فان رأى حسنا لم يدره وان رأى قبيحا لم ينكره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كتب الجهاد على رجال أمتى والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر الشهيد وعن على عليه السلام انه قال من أطاع امرأته فى أربع كبه الله فى النار على وجهه أن يطيعها فى أن تذهب الى العرسات والى المعلبات والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص يتشبب بأم جعفر الخطمية

أدور فلولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت دوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير

فاستعدى أيمن أخوها عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيما ضخما وكان الاحوص نحيفا فدفع الى كل واحد منهن سوطا وقال لهما تضاربا فضرب الاحوص فقال بعض الشعراء

لقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الحفاظ صبور

علاك بمتن السوط حتى لقيته * بأصغر من ماء الصفاق يفور

(قال الاحوص بعد ذلك)

اذا أنا لم أغفر لايمن ذنبه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبه بعدى

يسيء فأعفو ذنبه فتردنى * أياديه انها مباركة عندى

(تزوج) عبد الله بن يزيد الحنفى امرأة حسناء وكان رجلا ثقيلا جسيما ظريفا فأحبها حبا شديدا وكان من أشد الناس غيرة فدعاه حبه لها وشدة غيرته عليها أن خرج بها الى بعض البوادى فابتنى لها قصرا وسكن به وأقام معها مدة (وخرج) عمرو بن سعيد العبدى يريد سفرا له فأخذته السماء فى بعض الطريق فنظر فاذا هو بقصر عظيم فعدل اليه وقرع بابه فخرج اليه عبد الله بن يزيد فعرفه فسلم عليه وأنزله وهيأ له طعاما ثم دعا بشراب من خمر عتيق فبينما هما يشربان اذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاما شابا وسكر زوجها سكرا شديدا فخرجت المرأة الى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته الى نفسها فأبى وقال ما كنت بالذى

أفعل برجل أتاني منزله ولم يزل يدافعها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره فأنشأ عمرو يقول

رب بيضاء خصرها ينثني * قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحييت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله الى المرأة فجعل في عنقها حبلا وعلقها به الى السقف فاضطربت حتى ماتت وعلم ان النساء لا حفظ لهن وآلى على نفسه أنه لا يتزوج امرأة أبدا وترك قصره وعاد الى منزله ((وقال الفضيل بن الهاشمي)) كنت مع ابنة عمي نائما على سرير اذ ظهرت الى بعض جواري فنزلت فقضيت حاجتي ثم انصرفت فبينما أنا راجع اذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت الى موضعي من السرير فغلبني الوجع فصحت فقالت لي ابنة عمي مالك قلت لها لدغتني عقرب قالت وعلى السرير عقرب قلت نزلت لا بول فأصابتني ففطنت فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن ان لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة ثم قالت

اذا عصي الله في دارنا * فان عقاربنا تغضب
ودار اذا نام حراسها * أقام الحدود بها العقرب

(قالوا) وبينا ابن أبي ربيعة في الطواف اذ رأى جارية من أهل البصرة فأعجبته فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه فلما كان في الليلة الثانية عاودها فقالت له اليك عني أيها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة وألح عليها وشغلها عن الطواف فأتت زوجها فقالت له تعال معي فأرني المناسك فأقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث فقال وددت أنه لم تبق فتاة من قريش في خدرها الا سمعت هذا الحديث ((وكان)) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن الوليد سيف الله من فتيان قريش جمالا وشعرا وهو الذي جاءت به قريش الى أبي طالب قالوا هذا عمارة قد عرفت حاله فخذه بدل ابن أخيك محمدا وأعطنا محمدا نقتله فقال لهم أبو طالب ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه وبعثت قريش عمارة بن الوليد وعمرو بن العاصي الى النجاشي في أمر من قدم اليه من

المهاجرين فلما كانوا فى السفينة ومع عمرو امرأته أم عبد الله فقال لها عمارة قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك وقال عمرو فى ذلك

لبعلم عمار ان من شر شيمة * لمثلك ان يدعى ابن عم له ابن ما
أان كنت ذا بردين أحوى مرجلا * ولست تراعى لابن عمك محرما
اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملا الفما

وقعد عمرو على منجاف السفينة لقضاء الحاجة فدفعه عمارة فألقاه فى البحر فما تخلص حتى كاد يموت فلما صار الى النجاشى أظهر له عمرو انه لم يحفل بما أصابه منه فجاء عمارة يوما فحدثه ان زوجة الملك النجاشى علقته وأدخلته الى نفسها فلما تبين لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك وأخبره خبره فقال له النجاشى ائتنى بعلامة أستدل بها على ماقلت فعاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجة النجاشى فقال له عمرو لا أقبل هذا منك الا أن تعطيك من دهن الملك الذى لا يدهن به غيره فكلمها عمارة فى الدهن فقالت له أخاف من الملك فأبى ان يرضى منها الا أن تعطيه من ذلك الدهن فأعطته منه فأعطاه الى عمرو فجاء به الى الملك فأمر السواحر فنفخن فى احليله فذهب مع الوحش فلم يزل متوحشا حتى خرج اليه عبد الله بن أبى ربيعة فى جماعة من أصحابه فجعل له على الماء شركا فأخذه فجعل يصيح به ارسلنى فانى أموت ان أمسكتنى فامسكه فمات فى يده ((عروة بن الزبير)) عن عائشة رضى الله عنها قالت ماغرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماغرت على خديجة ولقد هلكت قبل ان يتزوجنى بثلاث سنين لما أسمع من كثرة ذكره اياها وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهى فى مرضها الذى توفيت فيه فقال لها بالكره منى ياخديجة ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا كثيرا أماعلمت ان الله زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت وقد فعل الله ذلك برسوله قال نعم قالت فبالرفاء والبنين

((باب ماذكر من وفاء النساء))

(حكى الاصمعى) عن رجل من بنى ضبة قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها حتى

أتيت بلاد بني سليم فلما كنت في بعض أحوائها اذا جارية تغشى بصرى اشراق وجهها فقالت ما بغيتك فاني أراك مولها قلت ابل ضلت لي فأنا في طلبها قالت فتحب ان أرشدك الى من هي عنده قلت نعم قالت الذى أعطاكهن هو الذى أخذهن فان شاء ردهن فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها فقلت لها هل لك من بعل قالت كان والله فدعي فأجاب الى ما منه خلق ونعم البعل كان قلت لها فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعا فأنشأت تقول

كنا كغصنين من بان غذاؤهما * ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني ان خانني زمن * أن لا يضاجع أنثى بعد موتاتي
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا مذ سنيات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه * عن الوفاء خلاب الغانيات

قال فانصرفت وتركتها (قال الاصمعي) قال لي الرشيد امض الى البادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وطرف حديثهم فانحدرت فنزلت على صديق لي بالبصرة ثم بكرت أنا وهو الى المقابر فلما صرت اليها اذا بجارية بادية البارع عمرها أقبل الذوائب عليها ثياب مصبغات وحلي وهي تبكي أحر بكاء فقلت يا جارية ما شأنك فأنشأت تقول

فان تسألاني فيم حزني فانني * رهينة هذا القبر يا فتيان
أهابك اجلالا وان كنت في الثرى * مخافة يوم أن يسوءك مكاني
واني لأستحييك والترب بيننا * كما كنت أستحييك وهو يراني

فقلنا لها ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وحزنك ... فأنشأت تقول

يا صاحب القبر يا من كان يونسني * حيا ويكثر في الدنيا مواساتي
أزور قبرك في حلي وفي حلل * كأنني لست من أهل المصيبات
فمن رآني رأى عبرى مولهة * مشهورة الزي تبكي بين أموات

فقلنا لها وما الرجل منك قالت بعلي وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره الا في مثل هذا الزي لأنه كان يحبه أيام حياته

وأنكر غناءه أيما على قال الاصمعى فسألتها عن خبرها ومنزلها وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت حتى حدثته حديث الجارية فقال لابد أن ترجع حتى تخطبها الى من وليها وتحملها الى ولا يكون من ذلك بد ووجه معى خادما ومالا كثيرا فرجعت الى قومها فاخبرتهم الخبر فجاؤوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهى لا تعلم فلما صرنا الى المدائن نمى اليها الخبر فشهقت شهقة فماتت فدفناها هنالك وسرت الى الرشيد فاخبرته الخبر فما ذكرها وقتا من الاوقات الا بكى أسفا عليها ((توفى رجل)) وبقيت امرأته شابة جميلة فما زال بها النساء حتى تزوجت فلما كانت ليلة زفافها رأت فى المنام زوجها الاول آخذا بعارضتى الباب وقد فتح يديه وهو يقول

حييت ساكن هذا البيت كلهم * الا الرباب فانى لا أحييها
أمست عروسا وأمسى مسكنى جدث * بين القبور وانى لا ألاقيها
استبدلت بدلا غيرى فقد علمت * ان القبور توارى من ثوى فيها
قد كنت أحسبها للعهد راغبة * حتى نموت وما جفت مآقيها

ففزعت من نومها فزعا شديدا وأصبحت فاركا (أى مبغضة للازواج) وآلت أن لا يصل اليها رجل بعده أبدا ((ولما)) قتل عثمان رضى الله عنه وقفت يوما على قبره امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبى فترحمت عليه ثم انصرفت الى منزلها ثم قالت انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى فدعت بفهر فهتمت فاها وقالت والله لا يقعد رجل منى مقعد عثمان أبدا وخطبها معاوية فبعثت اليه أسنانها وقالت أذات عروس ترى وقالوا لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكا ((كان)) هدبة بن خشرم العذرى قتل ابن عم ريقال له زيادة ابن زيد فطلبه سعد بن العاص وهو يلى المدينة لمعاوية فحبسه فقال فى السجن قصيدته التى يقول فيها

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وفى سجنه يقول أيضا

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف فى حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح * به ذكرتك الامن يذكر بالامر

وسئل عن هذا فقال لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها وكان سعيد حسن الثغر
فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المستورد بن زيادة فلما احتلم أخرج
صبح ثلاث الليلة الى عامل المدينة فرغبه في العفو وعرض عليه عشر ديات فابى
الا القود وكان ممن عرض الديات عليه الحسن بن على عليهما السلام وعبد الله
ابن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم فلما أبى بعث هؤلاء وغيرهم من
اخوانه بالحنوط والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد
فجلسوا ولم ينه ولواله شيأ فلما لحظهم اذا بطرف برد خرج من بعض الاكفان فامسك
ثم قال كأنه قد فرغ من أمرنا فقالوا أجل فقام فاغتسل ثم رجع اليهم فأخذ من
كل واحد ثوبا ورد ما بقي وأخرج ليقاد منه فجعل ينشد الاشعار فقالت له حبا
المدينة ما رأيت أقسى قلبا منك تنشد الاشعار وقد دعي بك لتقتل وهذه خلفك
كأنها غزال عطشان تولول يعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فاقبل على حبا
فقال   وجدت بها مالم تجد أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب
وانى طويل الساعدين سمردل * على ما اشتهت من قوة وشباب
فاغلقت الباب في وجهه وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فقال له
على هذه الحال قال نعم فابتدأ ينشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب

((قال)) ونظر رجل الى امرأته فدخلته غيرة فقال وقد كان زيادة جدع أنفه بسيفه
فان يك أنفي بان عني جماله * فما حسبي في الصالحين باجدعا
فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

(وعن أبي حمزة) الكتاني قال كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري فقال
خالد من يحدثني بحديث عشق يستريح اليه قلبي فقلت أنا فقال هات فقلت انه
بلغني انه كان فتى من بني عذرة وكانت له امرأة منهم وكان شديد الحب لها وكانت
له مثل ذلك فبيناهو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى فنظرت الى وجهه وبكت
فقالت له ما الذي أبكاك قال والله لتصدقيني ان صدقتك قالت نعم قال لها ذكرت
حسنك وجمالك وشدة حبي فقلت أموت فتتزوج زوجا غيري فقالت والله والله

ان ذلك الذى أبكاك قال نعم قالت وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى لك
فقلت أموت فيتزوج امرأة غيرى قال الرجل فان النساء حرام على بعدك فلبثنا
ماشاء الله ثم ان الرجل توفى فجزعت عليه جزعا شديدا فخاف أهلها على عقلها أن
يذهل فاجمع رأيهم على أن يزوجوها وهى كارهة لعلها تسلى عنه فلما كان فى الليلة
التى تهدى فيها الى بيت زوجها وقد نام أهل البيت والماشطة تهيئ من شعرها
اذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلا عليها من الباب وهو يقول
خنت يافلانة عهدى والله لاهنئت العيش بعدى فانتبهت مرعوبة وخرجت
هاربة على وجهها وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر ((قال اسحق)) خرجت
امرأة من قريش من بنى زهرة الى المدينة تقضى حقا لبعض القرشيين وكانت
ظريفة جميلة فرآها من بنى أمية رجل فاعجبته وتاملها فاخذت بقلبه وسأل عنها
فقيل له هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة ووصفت له بما زادفيها كلفه
فخطبها الى أهلها فزوجوه اياها على كره منها وأهديت اليه فرأت من كرمه وأدبه
وحسن عشرته ما وجدت به فلم تقم عنده الا قليلا حتى أخرج أهل المدينة بنى أمية
الى الشام فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله فاشتد بكاؤها على زوجها وبكاؤه عليها
وخيرت بين أن تجمع معه مفارقة الاهل والولد والاقارب والوطن أو تتخلف عنه
مع ما تجد به فلم تجد شيأ أنفس عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها
فلما صارت بالشام صارت تبكى ليلها ونهارها ولا تهنأ طعاما ولا شرابا شوقا الى
أهلها ووطنها فخرجت يوما بدمشق مع نسوة تقضى حقا لبعض القرشيين فمرت
بفتى جالس على باب منزله وهو يتمثل بهذه الابيات

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا * صروت المصلى أم كعهدى القرائن
وهل أدور حول البلاط عوامر * من الحى أم هل بالمدينة ساكن
اذا لمعت نحو الحجاز سحابة * دعا الشوق منى برقها المتيامن
وما أنفصتنا رغبة عن الادنا * ولكنه ما قدر الله كائن

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع تنفست نفسا صدع فؤادها
فوقعت ميتة فحملت الى أهلها وجاء زوجها وقد عرف الخبر وانكب عليها فوقع
عليها ميتا فغسلا جميعا وكفنا ودفنا فى قبر واحد ((وكانت)) خولة بنت منظور بن

زياد

زيادا الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكانت أختها
عند عبد الله بن الزبير وهي أحسن الناس ثغرا وأتمهم جمالا فلما رأى ذلك
عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها ثم خطبها فكرهت أن تتزوجه
وهو قاتل زوجها فأخذت فهرا وكسرت به أسنانها وجاءها رسول عبد الملك يخطبها
فأذنت له ليراها فأدى إليها رسالته ورأى ما بها فقالت ما لي عن أمير المؤمنين
رغبة ولكني كما ترى فإن أحبني فأنا بين يديه فأتاه الرسول فأعلمه بذلك فقال إنا لله
إنما أردتها على حسن ثغرها الذي بلغني وأما الآن فلا حاجة لي فيها (وممن) يضرب
به المثل في الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيباني وذلك أن عمرو بن عبد الملك
طلب مروان القرظ وهو مروان بن زنباع العبسي فخرج هاربا حتى هجم على
أبيات بني شيبان فنظر إلى أعظمها بيتا ببصره فإذا هو بيت جماعة بنت عوف
فألقى نفسه بين يديها فاستجارها فأجارته ولحقته خيل عمرو فبعثت إلى أبيها فعرفته
أنها أجارته فمنعهم عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو فأرسل عمرو إلى عوف قد
آليت ألا أقطع طلبي إلا أن يضع يده في يدي فقال عوف والله ما يكون ذلك أبدا
لكن يدي بين يديك ويده قال فرضي عمرو بذلك فوضع مروان يده في يد عوف
ووضع عوف يده في يد عمرو فقال عمرو لا حر بوادي عوف فذهبت مثلا (وحكى)
عصام المزني عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فقال لنا
وقال إن رأيتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلوا أحدا فبينا نحن نسير إذ مر بنا رجل
معه ظعائن يسوقها أمامه فأخذناه فقلنا له أسلم قال وما الإسلام فعرضناه عليه فقال
أرأيتم إن لم أسلم ما أنتم صانعون بي قلنا نقتلك قال هل أنتم تاركي حتى أوصي من
في هذا الهودج بكلمات قلنا نعم فدنا من الهودج وجعل يقول أسلمي حبيش
قبل انقطاع العيش فقالت أسلم عشرا أو تسعا وترا أو ثمانيا تترى ثم [illegible]
عنقه قال شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون فقدمناه فضربنا عنقه وقد رأيت [illegible]
نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكي [illegible]
فحركناها فإذا هي ميتة (انتهى) قال [illegible] بن عبد [illegible]
فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم حدثوا [illegible]
أصلح الله الأمير ذكر هشام بن عبد الملك يوما النساء [illegible]

بعض جلسائه أنا أحدثك يا أمير المؤمنين بلغني عن امرأة من يشكر يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الاعراف وانها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان وكان شديد المحبة لها والوجد بها وكانت له كذلك فأقام بها على هذا الحال ماشاء الله لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه الا اغتباطا فلما حضرت غسان الوفاة قال لها يا أم عقبة اسمعي ما أقول وأجيبي عن نفسك بحق فقالت له والله لا أجيبك بكذب ولا أجعله آخر حظك مني فقال اني رجوت أن تحفظي العهد وأن تكوني لي ان مت عند الرجاء أنا والله واثق بك غير اني بسوء الظن أخاف غدر النساء ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات فلم تمكث بعده الا قليلا حتى خطبت من كل مكان ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب فقالت مجيبة له

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر

واني لفي شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلي من الناس يغدر

سأبكي عليه ما حييت بدمعة * تحول على الخدين مني فتكثر

فيئس الناس منها حينا فلما طالت بها الايام نسيت عهده وقالت من قد مات فقد فات وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس وقد كان بها معجبا فلما كانت الليلة التي أراد بها الدخول أتاها في منامها زوجها الاول فقال لها

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة * ولم تعرفي حقا ولم ترعي لي عهدا

غدرت به لما ثوى في ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحية منه كأنه يراها أو تراه كأنه في جانب البيت فأنكر حالها من حضرها وقلن لها مالك وما بالك قالت ما ترك لي غسان في الحياة أربا أتاني الساعة فأنشدني هذه الابيات ثم أنشدتها بدمع غزير وانتحاب شديد من قلب جريح موجع فلما سمعن ذلك منها أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة فأبطأت عليهن فقمن في طلبها فوجدنها قد جعلت السوط في حلقها وربطتها الى عمود البيت وجبذت نفسها حتى ماتت فلما بلغ ذلك زوجها المقدام حسن عزاؤه عنها وقال هكذا فليكن النساء في الوفاء قل من يحفظ ميتا انما هي أيام قلائل حتى ينسى وعنه يتسلى (استعدى) آل بثينة

مروان

مروان بن الحكم على جميل بن معمر فهرب حتى أتى رجلا شريفا من بنى عذرة فى أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالا فقال الشيخ ابناته تحلين بأجود حليكن والبسن فاخر ثيابكن ثم تعرضن لجميل فمن اختاره منكن زوجته اياها ففعلن ذلك مرارا وجعلن يعارضنه فلم يلتفت اليهن وأنشأ يقول

حلفت لكى تعلمن أنى صادق * وللصدق خير فى الامور وأنجح
لتكليم يوم من بثينة واحد * ورؤيتها عندى ألذ وأملح
من الدهر ان أخلو بكن فانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

قال أبو هند عن هذا فوالله لا أفلح ابدا (كانت) أم هانئ بنت أبى طالب تحت زوجها هبيرة بن أبى ليث المخزومى فهرب يوم فتح مكة الى اليمن فمات بها كافرا فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت والله لقد كنت أحبك فى الجاهلية فكيف فى الاسلام ولكننى امرأة مصيبة وأكره أن يؤذوك فقال النبى صلى الله عليه وسلم نساء قريش خير نساء ركبن المطايا احناهن على ولد صغير وأرعاهن على زوج ذى يد (أبو بكر الانبارى) عن أبى اليسر قال دخلت منزل نخاس لشراء جارية فسمعت فى بيت بازاء البيت جارية تقول

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش معجب مونق رغد
أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم أر شيأ قط أوحش من فرد

فقلت للنخاس اعرض على هذه المنشدة فقال انها حزينة قلت ولم ذلك قال اشتريتها من ميراث فهى باكية على مولاها ثم لم ألبث أن أنشدت

وكنا كغصنى بانة وسط دوحة * نشم جنا الجنات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة باتت تحن الى فرد

قال أبو السمراء فكتبت الى عبد الله بن طاهر بخبرها فكتب الى ان ألق عليها هذا البيت فان اجازته فاشترها ولو كانت بخراج خراسان والبيت

قريب صد بعيد وصل * جعلت منه لى ملاذا

(فقالت سرعة) فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

قال أبو السمراء فاشتريتها بألف دينار وحملتها اليه فماتت فى الطريق فكانت احدى الحسرات (قال الاصمعى) خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن

المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين فمررنا بالجبانة واذا امرأة جالسة على قبر تبكي فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها غمامة جلت شمسا فوقفنا متعجبين ننظر اليها فقال لها ابن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت اليهما ثم نظرت الى القبر فقالت

فان تسألاني عن هواي فانه * بحومة هذا القبر يافتيان

واني لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون (قال الاصمعي) رأيت بالبادية أعرابية لاتتكلم فقلت أخرساء هي فقيل لي لا ولكنها كان زوجها معجبا بنغمتها فتوفي فآلت أن لا تتكلم بعده أبدا (قال الفرزدق) أبق لرجل من بني نهشل يقال له حصن غلام فخرجت في طلبه أريد اليمامة فلما صرت في ماء لبني حنيفة ارتفعت لي سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا ودخلت الدار وأنخت ناقتي وجلست فاذا جارية كأنها طلعة قمر فقالت ممن الرجل قلت من بني حنظلة قالت من أي حنظلة قلت من بني نهشل قالت فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فتبسمت ثم قالت فان جريرا هدم قوله حيث يقول

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاسفل

قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها ثم قالت لي اين تؤم قلت اليمامة فتنفست نفسا وصل الى حره فقلت أذات خدر أم ذات بعل فبكت فقلت ما أحشمني عما سألتك قال فلما فهمت قولي ولم تكن أولا فهمته من شدة استغراقها فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول

يخيل لي أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير

فان يك هكذا يا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فقلت لهم من هذه قالوا عقيلة بنت الضحاك بن النعمان ابن المنذر قلت فمن عمرو قالوا ابن عمها خطبها ولم يدخل بها فارتحلت من عندهم

فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد دفن فى ذلك الوقت من ذلك اليوم (يروى) عن سماك بن حرب أن زيد بن حارثة قال يا رسول الله انطلق بنا الى فلانة نخطبها عليك أو على ان لم تعجبك فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا رسول الله انى عاهدت زوجى ألا أتزوج بعده أبدا وأعطانى مثل ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ذلك فى الاسلام ففى له وان كان ذلك فى الجاهلية فليس بشئ (قال الاصمعى) خرجت الى مقابر البصرة فاذا أنا بامرأة على قبر من أجمل النساء وهى تندب صاحبه وتقول

هل أخبر القبر سائليه * أم قر عينا بزائريه
أم هل تراه أحاط علما * بالجسد المستكن فيه
يا جبلا كان ذا امتناع * وطود عـز لآمليه
يا نخلة طلعها نضيد * يقرب من كف مجتنيه
ياموت ماذا أردت منى * حققت ما كنت أتقيه
دهر رمانى بفقد الفى * أذم دهرى وأشتكيه
أمنك الله كل خوف * وكل ما كنت تتقيه
أسكنك الله فى جنان * تكون أمنا لساكنيه

قال فقلت لها يا أمة الله ماهذا منك قالت لو علمت مكانك ما أنشدت حرفا هذا زوجى وسرورى وأنسى والله لازلت هكذا أبدا أو ألحق به قلت لها أعيدى على الشعر فقالت هذا من ذاك فقلت خذى اليك وأنشدتها الابيات فقالت فان يكن فى الدنيا الاصمعى فأنت هو (قال) كان لاشجع بن عمرو السلمى جارية يقال لها ريم وكان يجدبها وجدا شديدا وتجد به وكانت تحلف له أنها ان بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبدا فقال يخاطبها

اذا غمضت فوقى جفون حفيرة * من الارض فابكينى بما كنت أصنع
تعزيك عنى بعد ذلك سلوة * وان ليس فيمن وارت الارض مطمع

﴿فأجابته ريم تقول﴾

ذكرت فراقا والتفرق يصدع * وأى حياة بعد موتك تنفع
اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فمالى فى طيب من العيش مطمع

فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت * شآبيب جدو غيثها ليس تقشع

(وقال فيها أيضا)

وليس لاخوان النساء تطاول * ولكن اخوان الرجال يطول

فلا تبخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع عن هوى لبخيل

فمالي الى رد الشبيبه حيلة * ولا لي الى دفع المنون سبيل

وان الذي قد مضوا السبيلهم * وان بقائي بعدهم لقليل

(فأجابته ريم)

بكي من صروف خطبهن جليل * ومن ذا به عمر الحياة يطول

ومن ذا الذي ينعي على حدث الردى * وللموت في أثر النفوس رسول

وكل جليل سوف يلتقي حمامه * وكل نعيم دائم سيزول

لي الويل ان عمرت بعدك ساعة * وان كثير الويل لي لقليل

وتزعم اني لا أجود بعبرة * اذا نجمه قد حان منه أفول

ومن ذا الذي أبكي له ان فقدته * سواك ومن دمعي عليه يسيل

فلا وقيت ريم اذا ما تخافه * اذا ناب خطب للزمان جليل

ولا لقيت يوم القيامة ربها * وميزانها بالصالحات ثقيل

اذا ما سخا قلب امرئ بمودة * فقلبي بود عن سواك بخيل

ولما مات أشجع آلت على نفسها أن لا تأكل طعاما ولا تذوق شرابا فعاشت بعده أياما ثم توفيت فدفنت الى جانبه

((باب ما يذكر من غدر النساء))

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر وقال عمرو الملك

ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان وفيها * كل شيء يجن فيه الضمير

((وقال طفيل الغنوي))

ان النساء لاشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

(وفى الحديث المرفوع) ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء فان ذهبت تقومها كسرتها فاستمتع بها على عوج فيها (وكان) أبو ذر الغفارى يقعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشده

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

(وفى الحديث) شاوروهن وخالفوهن فان فى خلافهن البركة (قال علقمة بن عبدة)

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

(وقال آخر)

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وان هى أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

(وقال أبو عبيدة) حجت امرأة بجير السلولى معه فاقبلت لا تطرق على شاب فى الرفقة الا وتكشف وجهها فقال فى ذلك

أيارب لا تغفر لعثمة ذنبها * وان لم يعاقبها العجير فعاقب
حرام عليك الحج لا تطعمينه * اذا كان حج المسلمات الثوائب

(وقال أعرابى)

لا تكثرى قولا محبتك ودنا * فقولك هذا للفؤاد مريب
تعدين ما أوليتنى منك قابلا * وللفارس الجلان منك نصيب

(أراد رجل) أن يشترى قينة وقد كان أحبها فبات عند مولاها ليلة فامكنته من نفسها وكان الامتناع منه فانشأ يقول

ما رأينا بواسط كسليمى * منظر الو تزينه بعفاف
بت فى جنبها وبات ضجيعى * جنب القلب طاهر الاطراف
فاقيمى مقامنا ثم بينى * لست عندى من فتية الاشراف

(وقال آخر)

لا أشتهى رنق الحياة ولا التى * تخاف وتغشاها المعيدة الحرب

ولكنني أهوى مشارب أحرزت * عن الناس حتى ليس في صفوها عيب

(وقال أعرابي أيضا)

تبعتك لما كان قلبك واحدا * وأمسكت لما صرت نهبا مقسما
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه * على كثرة الوراد أن يتهدما

(وقال أبو نواس)

ومظهرة لخلق الله حبا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وكان رجل يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه فقيل له في ذلك فقال

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها * لكانت بلا شك لاول خاطب
اذا غاب بعل كان بعل مكانه * فلا بد من آت وآخر ذاهب

((وعن المطلب بن وداعة السهمي)) قال كانت ضباعة بنت عامر من بني عامر بن صعصعة تحت عبد الله بن جدعان فمكثت عنده زمانا لا تلد فارسل اليها هشام بن المغيرة ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذي لا يولد له فقولي له فليطلقك فقالت ذلك لعبد الله بن جدعان فقال لها اني أخاف ان طلقتك تتزوجي هشام بن المغيرة قالت له فان لك علي أن لا أفعل هذا قال لها فان فعلت فان عليك مائة من الابل تنحرينها وتنسجين ثوبا يقطع ما بين الاخشبين وتطوفين بالبيت عريانة قالت لا أطيق ذلك وأرسلت الى هشام فاخبرته فارسل اليها ما أهون ذلك وما يكبر بك من ذلك أنا أيسر من قريش في المال ونسائي أكثر النساء بالبطحاء وأنت أجمل النساء ولا تعابين في عريك فلا تأبي ذلك عليه فقالت لابن جدعان طلقني فان تزوجت هشاما فعلي ما قلت فطلقها بعد استيثاقه منها فتزوجها هشام فنحر عنها مائة جزور وأمر نساءه فنسجن ثوبا ملأ ما بين الاخشبين ثم طافت بالبيت عريانة قال المطلب فاتبعها بصري اذا أدبرت وأستقبلها اذا أقبلت فما رأيت شيأ مما خلق الله منها وهي واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

(قال

((قال الزبير بن بكار)) خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من عمه الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال له يا ابن أخي قد انتظرت هذا منك انطلق معي فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج اليه ابنتيه فاطمة وسكينة وقال له اختر أيهما شئت فاختار فاطمة فزوجه اياها فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها انك امرأة مرغوب فيك متشوف اليك لا تتركين واني ما أدع في قلبي حسرة سواك فتزوجي من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان ثم قال لها كأني قد خرجت وقدمت وقد جاءك لابسا حلته مرجلا جمته يسير في جانب الناس معترضا لك ولست أدع من الدنيا هما غيرك فلم يدعها حتى استوثق منها بالايمان ومات الحسن فأخرجت جنازته فوافاه عبد الله بن عمرو كان يجد بفاطمة وجدا شديدا وكان رجلا جميلا كان يقال له المطرف من حسنه فنظر الى فاطمة وهي تلطم وجهها على الحسن فارسل اليها مع وليدة له ان لابن عمك أربا في وجهك فارفقي به فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها فلما انقضت عدتها خطبها فقالت كيف أفعل بأيماني قال لها لك بكل مال مالان وبكل مملوك مملوكان فوفي لها وتزوجها فولدت له محمدا وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية ((قال الزبير)) لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها كأني بك قد تزوجت طلحة بن عمر بن عبد الله ابن معمر فحلفت له بعتق رقيقها وان كل شئ لها في سبيل الله ان تزوجته أبدا فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت أرسل اليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له قد حلفت وذكرت يمينها فقال لها أعطيك بكل شئ شيئين وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار فاصدقها ضعفها فتزوجته فولدت له ابراهيم ورملة فزوج طلحة ابنته رملة من اسمعيل بن علي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت منطقة الجمال والخلق فقال اسمعيل لطلحة بن عمر أنت أتجر الناس قال له والله ما عالجت تجارة قط قال بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفا فولدت لك ابراهيم ورملة فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفا وابراهيم ((وعن هشام ابن الكلبي)) قال قال عبد الله بن عكرمة دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت كيف تجد فقال أجدني والله الموت وما موتي باشد علي من أم هشام أخاف

أن تتزوج بعدى فحلفت له أنها لا تتزوج بعده فغشى وجهه نورا وقال الآن فلينزل الموت متى شاء فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز فقلت فى ذلك

فان لقيت خيرا فلا يهنئنها * وان تعست بؤسا فللعين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت الى قد بلغنى ما تمثلت به وما مثلى ومثلك فى أخيك الا كما قال الشاعر

وهل كنت الا والهاذات ترحة * قضت نحبها بعد الحنين المرجع

فدع ذكر من قد وارت الارض شخصه * ففى غير من قد وارت الارض مقنع

قال فبلغ منى كل مبلغ فحسبت حسابها فاذا هى قد عجلت بالتزوج وبقى عليها من عدتها أربعة أيام فدخلت على عمر فأخبرته فانتقض النكاح ((قال الزبير بن بكار)) كانت امرأة من العرب تزوجت رجلا فكانت تحبه ويحبها وجدا شديدا فتحالفا وتعاهدا أن لا يتزوج الباقى منهما فما لبث أن مات بعلها فتزوجت فلامها أهلها على نقض عهدها فقالت

لقد كان حبى ذاك حبا مبرحا * وحبى لذا اذ مات ذاك شديد

وكانت حياتى عند ذلك جنة * وحبى لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتى * كذاك الهوى بعد الممات يبيد

((حكى الهيثم بن عدى)) قال عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقى منهما فهلك الرجل فلم تلبث المرأة أن تزوجت فلما كان ليلة البناء بها رأت فى أول الليل شخصا فتأملته فاذا هو زوجها وهو يقول لها نقضت العهد ولم ترعى له وأصبحت أتمت نكاحها ((وروى)) ابن شهاب ان رجلا من الانصار غزا فأوصى ابن عم له باهله فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالى فتطلع على حال زوجة ابن عمه فاذا فى البيت مصباح يزهر ورائحة طيبة واذا برجل متكئ على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول

وأشعث غره الاسلام منى * خلوت بعرسه بدر التمام

أبيت على ترائبها ويغدو * على جرداء لاحقة الحزام

كأن مجامع الربلات منها * فئام ينهضون الى فئام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله ورفع الخبر الى

عمر

عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصعد المنبر وخطب وقال عزمت عليكم ان كان الرجل الذي قتل حاضرا ويسمع كلامي فليقم فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله ما كان من خبره فاخبره وأنشده الابيات فقال أضرب عنقه قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله فقد هدر دمه ((قال أبو عمرو الشيباني)) كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يبعث اليها خالدا ابن أخيه زهير فراودت الغلام عن نفسها فامتنع وقال أكره أن يبلغ أبا ذؤيب فقالت له ما يراني وإياك الا الكواكب فبات معها وقال

ما ثم الا أنا والكواكب * وأم عمرو فلنعم الصاحب

فلما رجع الى أبي ذؤيب استراب به وقال والله اني لأجد ريح أم عمرو منك ثم جعل لا يأتيه الا استراب به فقال خالد

يا قوم مالي وأبي ذؤيب * كنت اذا ما جئته من غيب
يمس عطفي ويشم ثوبي * كأنني أربته بريب

فقال أبو ذؤيب وهي من قصيدة من جيد شعره

دعا خالدا أسري ليالي نفسه * يولى على قصد السبيل أمورها
فلما توفاها الشباب وغدره * وفي النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عني ومال بوده * أغانيج خود كان حينا يزورها
تعلقها منه دلال ومقلة * يظل لاصحاب السفاه يشيرها

((فأجابه خالد))

فلا يبعدن الله عقلك ان غزا * وسافر والاحلام جم غيورها
وكنت اماما للعشيرة تنتهي * اليك اذا ضاقت بأمر صدورها
وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من الشكوى اذا ما يسورها
فلم يغن عنه خدعه حين أزمعت * صريمته والنفس مر ضميرها

قال وكان أبو ذؤيب أخذها من مالك بن عويمر وكان مالك يرسله اليها فلما كبر أخذت أبا ذؤيب فلما كبر أخذت خالدا وقال

تريدين كيما تجمعيني وخالدا * وهل يصلح السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت مني قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

(قال أبو عبيدة) كان صخر بن عبد الله الشريد يعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب وكان يخطبها فتأبى عليه فأقام على ذلك حينا ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء وقتل عدة منهم وأسر آخرون وأقبل صخر فنظر الى ديارهم بلقعا وأخبر الخبر فشد عليه سلاحه واستوى على فرسه وأخذ أثرهم حتى لحقهم فلما نظروا اليه قالوا هذا كان شرد من بني سليم وقد أحب الله أن لا يدع منهم أحدا فجعل يبرز اليه الفارس بعد الفارس فيقتله فلما أكثر فيهم القتل حلت أسارى بني سليم بعضها بعضا وثاروا على بني أسد ونظر صخر الى سلمى وهي مع عبد أسود قد شدها على ظهره فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها وقد أصابته طعنة أبي ثور الاسدي في جنبه وتزوج سلمى وكان يحبها ويكرمها ويفضلها على أهله ثم بعد ذلك انتقض بجرحه فمرض حولا وكان نساء الحي يدخلن الى سلمى عوائد فيقلن كيف أصبح صخر فتقول لا حي فيرجى ولا ميت فينسى ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف فقال أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فسمعها صخر ولم تعلم فقال لها ناوليني السيف أنظر هل صدئ أم لا وأراد قتلها فناولته ولم تعلم فاذا هو لا يقدر على حمله فقال

أرى أم صخر ما تمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائما * وأسمعت من كانت له اذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب برأس سنان

قال ونتأت في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها فقال لهم شأنكم فلما قطعت مات (قال كان الساطرون الملك) ملك اليونانيين قد بنى حصنا يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك رجع عنه خائبا حتى غزاه سابور ذو الاكتاف ملك فارس فحصره أشهرا لا يقدر على شئ فأشرفت يوما من الحصن النضيرة ابنة الملك فنظرت الى سابور فهويته وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فأرسلت اليه ان أنت ضمنت لي أن تتزوجني وتفضلني على نسائك

دللتك على فتح هذا الحصن فضمن لها ذلك فأرسلت اليه ان انثر في الثرثار تبنا واجعل الرجال يتبعونه حتى يروا حيث يدخل فان ذلك المكان يفضي الى الحصن وفيه بابه ففعل ذلك سابور وعمدت النضيرة الى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته فلم يشعر أهل الحصن الا وسابور معهم وهم آمنون قال فلما ظفر سابور بالحصن وقتل الملك أبا النضيرة وجمع جنده تزوج بالنضيرة فباتت معه مسهرة لا تنام تتقلب من جنب الى جنب فقال لها سابور مالك لا تنامين فقالت ان جنبي تجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك على ألين منه ولا أوطأ وان فرشه لزغب اليمام فلما أصبح سابور نظر الى ورقة آس بين أعكانها فتناولها فدمي موضعها فقال لها ويحك بماذا كان أبوك يغذيك قالت بالمخ والزبد والبيض والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور انى لجدير ان لا استبقيك بعدما هلاك أبيك وقومك وكانت حالك عندهم هذه الحالة التي تصفين وأمر باحضار فرسين فربطت الى أرجلهما بعد أن رها ونفرا فقطعاها نصفين فذلك قول عدي حيث يقول

والحصن صبت عليه داهية * من فوقه أيدمنا كبها

من بعدما كان وهو يعمره * أرباب ملك جزل مواهبها

((ويروى)) أن وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها حتى اذا شبت حجبت عنه فطال بهما البلاء فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها معه الى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار الى الوسواس خرج الى مكة حاجا وقال لعلي أستعيذ بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يرحمني فلما قضى حجه نهض الى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى في يوم من الايام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها أتعرفين أم البنين فقالت عن مولاتي تسأل قال لها هي ابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو أخبرتها قالت فأنا أخبرها فمضت الجارية فأخبرت أم البنين فقالت لها ويلك أحي هو قالت لها نعم يا مولاتي قالت لها ارجعي اليه وقولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي فاني لا أدع الاحتيال لك واحتالت له فأدخلته في صندوق فمكث

عندها حيناً فاذا أمنت أخرجته فقعد معها واذا خافت عين رقيب أدخلته في الصندوق وأهدى يوماً للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به الى أم البنين وقل لها أهدى هذا الى أمير المؤمنين فوجه به اليك فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ولم تشعر أم البنين فبادر الى الصندوق فدخله وأدى الخادم الرسالة وقال هبي لي من هذا الجوهر حجرا واحدا فقالت له لا أم لك فما تصنع بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل اليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها يا أم البنين هبي لي صندوقا من صناديقك هذه قالت أنا لك يا أمير المؤمنين وهي لك فخذ أيها شئت قال ما أريد الا هذا الذي تحتي قالت له يا أمير المؤمنين ان فيه شيأ من أمور النساء فقال ما أريد غيره قالت فهو لك قال فأمر به فحمل ودعا بغلامين وأمرهما يحفران حتى وصلا الى الماء ثم وضع فمه في الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك وان كان كذبا فما أهون علينا اغا دفنا صندوقا وأمر بالصندوق فالقي في الحفيرة وأمر بالخادم الذي عرفه فقذف معه وردا التراب عليهما قال فكانت أم البنين لا ترى الا في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة ((وروى)) عن أبي نواس قال حججت مع الفضل بن الربيع فلما كنا بارض فزارة أيام الربيع نزلنا منزلا بفنائهم ذو أرض أريض ونبت غريض وقد اكتست الارض نبتها الزاهر وبرزت براثم غررها واتحفت أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه النمارق المصفوفة ولا يداني بهجته ازرابي المبثوثة فزادت الابصار في نضرتها وابتهجت النفوس بثمارها فلم نلبث أن أقبلت السماء بالسحاب وأرخت عزاليها ثم اندهمت برذاذ ثم بطش ثم بوابل حتى اذا تركت الديم كالوهاد تقشعت وأقلعت وقد غادرت الغدران مسترعة برفق والقيعان ناضرة بتالق يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى اذا هممت بتشبيه منظر حسن رددته اليه واذا تقت الى موضع طيب لم يجد في البكاء معولا الا عليه فسرحت طرفي راتعا في أحسن منظر واستنشقت من رياها أطيب من ريح المسك الاذفر

فقلت

فقلت لزميلي و يحك امض بنا الى هذه الخيمات فلعلنا نلق من نأثر عنه خبرا نرجع
به الى بغداد فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف
مريض وسنان النظر قد حشي فتورا وملئ سحرا فقلت لصاحبي والله انها الترنو عن
مقلة لا رقية لسليمها ولا برء لسقيمها فقال لي وكيف السبيل الى ذلك فقلت
استسقها ماء فدنونا منها فاستسقيناها فقالت نعم ونعما عين وان نزلتما ففي الرحب
والسعة ثم قامت تتهادى كالدعص الملبد فراعني والله ما رأيت منها فأتت بالماء
فشربت منه وصببت باقيه على يدي ثم قلت وصاحبي عطشان أيضا فأخذت
الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت فقلت لصاحبي تعرض لكشف وجهها فقال

اذا بارك الله في ملبس * فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون المهاغرة * ويكشف عن منظر أشنع

فمرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار أسود وأنشأت وهي
تقول

الا حي ضيفي معشر قد أراهما * أضلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة * ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما
يذمان تلباس البراقع ضلة * كما ذم تجر اسلعة مشتراهما

قال فشبهت والله كلامها بعقد در وهي من سلكه فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة
لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء لرطوبة منطقها وعذوبة لفظها بوجه
يظلم لنوره ضياء العقول ويتلف من رؤيته مهج النفوس فهي كما قال

فرقت وجلت واستكبرت فأكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك ان خررت ساجدا فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذمن بعدها برقعا
فكشف البرقع عما يطرد الكرى ويشغل الهوى من غير بلوغ أرب ولا ادراك
طلب وليس الا الحين المجلوب والقدر المكتوب والأمل المكذوب فبقيت
والله معقول اللسان عن الجواب حيرانا لا أهتدى الى طريق الصواب والتفت
الى صاحبي لما رأى لهفي فقال ما هذه الخفة لوجه انما برقت لك بارقة لعلك ما تدري
ما تحتها أما سمعت قول الشاعر حيث يقول

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت بئس ما ذهبت اليه لا أبا لك لانا أشبه بقول الشاعر حيث يقول

منعمة حوراء يجري وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
خزاعية الاطراف كندية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها واذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب يهتز على مثل كثيب ولها صدر كالورد عليه رمانتان أو حقان عاج عليهما آن بذ ؟ آللامس وخصر مطوى الاندماج يهتز فى كفل رجراج لو رمت عقده لانعقد وسرة مستديرة يقصر وهمي عن بلوغ وصفها تحت ذلك أرنب جاثم أو جبهة أسد غادر وفخذان لفاوان وساقان خدلجان يحرسان الخلاخيل وقدمان خمصاوان فقالت أعار اترى قلت لا والله قال فخرجت عجوز من الخباء وقالت أيها الرجل امض لشأنك فان قتيلها مطلول لا يودى وأسيرها مكبول لا يفدى فقالت لها الجارية دعيه فمثله قول ذى الرمة

وان لم يكن الا تمتع ساعة * قليلا فاني نافع لي قليلها

فولت العجوز وهي تقول

فما لك منها غير أنك ناكح * بعينيك عينيها فهل ذاك نافع

قال فبينما نحن كذلك اذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل وكرب داخل ونفس هائمة وحسرة دائمة فقلت فى ذلك

رسم الكرى بين الجفون محيل * عفا عليه بكا عليك طويل
يا ناظرا ما أقلعت لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيل
أحللت من قلبي هواك محلة * ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التى فى مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

قال فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحدا ممن كنت تأهبت للقائه ثم رجعنا منصرفين فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره وأعشم نبته وتزايد حسنه قلت لصاحبي امض بنا الى صاحبتنا فلما مضينا وأشرفنا على الخيام ونحن دونها ستر فى روضة أريضة مونقة عليها جمان الطل يحاكيها كالاعين النجل وقد أشرقت بدموعها على قصب الزبرجد وهبت ريح الصبا فصدت لها الاغصان وتمايلت تمايل النشوان فصعد نا ربوة ونزلنا وهدة فاذا هي بين خمس لا تصلح أن تكون

خادمة لاحداهن وهن يجنين من نوار ذلك الزهر ويتقلبن على ما أعشم من عشبه وزهره فلما رأيننا تقربن فسلمنا عليهن فقالت الجارية من بينهن وعليك السلام ألست صاحبي آنفا قلت بلى ولكن لم يكن كان ذلك فقلن لها أو تعرفينه قالت نعم فقصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفا واحدا فقلن لها ويحك أفما زودتيه شيأ قالت زودته والله موتا مريحا وحدا ضريحا فانبرت لها أنضرهن وجها وأرقهن خدا وأرشقهن قدا وأبدعهن شكلا وأكملهن عقلا فقالت والله ما أجملت بدأ ولا أحسنت عودا ولقد أسأت في الرد ولم تكافئيه بالود واني أحسبه لك وامقا والى لقائك تائقا فما عليك من اسعافه في هذا المكان ومعك من لا ينم عليك فقالت لها يا تعسا الى ما دعوتني والله لا أفعل من ذلك شيأ أو تفعلينه وتشركيني في حلوه ومره وخيره وشره فقالت لها تعسا لك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت فتزهين وتوصلين فتقطعين ويرغب فيك فتزهدين ويبذل لك الود فتمنعين الرفد ثم تأمريني أن أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ومنى عناء ومضرة ما أنصفت في القول ولا أجملت في الفعل قالت أخرى منهن قد أطلتن الخطاب في غير قضاء أرب فاسألن الرجل عن قصته وما في نفسه من بقيته فلعله لغير ما أنتن فيه فقلن حياك الله وأقر بك عينا من أنت ومن تكون فقلت أما الاسم فالحسن بن هانئ الحكمي وأنا من شعراء السلطان الاعظم ومن يتزين بمجلسه ويفتخر بحمده وشكره ويتقي لسانه قصدت لتبريد غلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابت الجسد ثم استبطنت الاحشاء فمنعت من القرار ووصلت الليل بالنهار فقالت لقد أضفت الى حسن المنطق والمنظر كريم الخيم والمخبر وأرجو أن تبلغ أمنيتك وتنال بغيتك فهل قلت شيأ في صبوتك قلت نعم قلن أنشد فانشدتهن

جئت رجاء الفوز بالاجر قاصدا * لحط ذنوب من ركوب الكبائر
فأبت كما آب الشقي بخفه * حنين فلم أوجر بتلك المشاعر
دهتني بعينيها وبهجة وجهها * فتاة كمثل الشمس أسحر ساحر
منعمة لو كان للبدر نورها * لما طلعت بيض النجوم الزواهر
فان بذلت نلت الاماني كلها * وان لم تنلني زرت أهل المقابر

فقلن أحسنت والله ثم قالت انها والله ساعتك الطولى ان خالفتني قالت قد سمعت

جوابي فقالت أخرى أجيبها الى مادعت من الشركة لئن كن احداكن في الامر فقلن قد أنصفت وقد أطلتن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي فالوقت ممكن والمكان خال فأجمعن على ذلك ولست أشك فيما أظهرن ثم قلن بمن تبدأ قلت اقترعن فوقعت القرعة على أملحهن فصرت الى باب المغارة هنالك فأدخلتني وأبطأت عني قليلا وجعلت أتشوق وأنظر الى دخول احداهن فبينا أنا كذلك اذ دخل على أسود كأنه سارية بيده ايره وهو منعظ كمثل ذراع البكر فقلت ماتريد قال أنيكك فاهمتني والله نفسي فصحت بصاحبي وكان أجلد مني فخلصني من الاسود ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فاذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لآل يحدرن من سلك وهن يتضاحكن حتى غبن عن بصري فاسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبي من أين جاء الاسود قال كان رعى غنما عند ربوة من المغارة فأومأن اليه فأسرع نحوهن فاوحين اليه شيأ فرابني ذلك فأسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الاسود فقلت أتراه كان يفعل قال لي فأنت في شك من هذا فقلت له اكتم علي وانصرفت وأنا والله أخزى من ذات النحيين ((قال دعبل بن علي)) بينا أنا سائر بباب الكرخ وقد استولى الفكر على قلبي فخطر في بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به فقلت

دموع عيني لها انبساط * ونوم جفني له انقباض

واذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت

وذا قليل لمن دهته * بلحظها الاعين المراض

فلم أعلم اني خاطبت جارية أعذب منها لفظا ولا أسحر طرفا ولا أنضر خدا ولا أحسن مشيا ولا أرجح عقلا فوددت أن كل جارحة مني عين تنظر أو قلب يفهم أو أذن تسمع فقلت

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

ماللزمان يقال فيه وانما * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فلحظتها وتبعتني وذلك حين املاقي واختلال حالي فقلت مالي الا منزل صريع الغواني فأتيته واستوقفتها ودخلت اليه وقلت ويلك يامسلم أجمل لك الخبر وجه على الباب تقبل له الدنيا ومافيها مع عسر وضيقة قال لي قد شكوت الى ما كدت

أبدؤك به من الشكوى ولكن أنت بها على كل حال فلما دخلت قال لي والله ما أملك الا هذا المنديل فقلت له هو البغية قال فأخذته فبعته بثلاثين درهما واشتريت خبزا ولحما ونبيذا واذا هما يتنازعان حديثا كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار فقلت وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لي مسلم بيت نظيف ووجه ظريف ولا نقل ولا ريحان أخرج فالتمس لنا ذلك قال فخرجت وجئت بما طلب فاذا الاحسن منهما ولا أثر لهما فجعلت أطيل الذكر وأرجم الظن حتى اذا جن على الليل وفي قلبي لهيب النيران ثاب الى عقلي وقلت لعل الطلب يوقعني على موضع خفي فوقفت على باب سرداب واذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان اليه فأكلا وشربا وناما فدليت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات فلم يكلمني بأكثر من أن قال لي محلنا والنفقة من عندنا وأنت فضولي ما هذا الذي تقترح اصبر مكانك حتى يؤذن لك فبقيت طول ليلتي أتقلى على جمر الغضا لا أعرف أين أنا فلما انشق الصبح اذا به طلع وطلعت الجارية في أثره فاسرت اليه وخرجت تغدو ولم تخاطبني فكانت أعظم حسرة نزلت بي

((باب ما جاء في الزنا والتحذير من أليم عقابه))

((روى)) عن الاعمش عن سفيان عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فاما التي في الدنيا فزوال البهاء ودوام الفقر وقصر العمر وأما اللواتي في الآخرة فسخط الله جل ثناؤه وسوء الحساب والخلود في النار ((وعن الحرث بن النعمان)) قال سمعت أنس بن مالك يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقيم على الزنا كعابد وثن (وعن أبي سعيد الخدري) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بي انطلق بي الى خلق من خلق الله ونساء معلقات بثديهن ومنهن بأرجلهن منكسات ولهن صراخ وخوار فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم ((وعن أبي الدرداء)) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليبغض ثلاثة الشيخ الزاني والمقل المختال والبخيل المنان ((وعن عمر بن شرحبيل)) عن عبد الله بن مسعود أنه قال قلت يا رسول الله أو قال غيري أي الذنوب أعظم عند

الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل النفس بغير حق قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك قال ثم أنزل الله في كتابه تصديق ذلك ثم قال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ((وعن عبد الله بن عمر)) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له ادخل النار مع الداخلين ((وعن أبي هريرة)) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين ((ذكر الزنا)) عند يحيى بن خالد بن برمك فقال الزنا يجمع الخصال كلها من الشر لا تجد زانيا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا محافظة على صديق الغدر شعبة من شعبه والخيانة فن من فنونه وقلة المروءة عيب من عيوبه وسفك الدم الحرام جناية من جنايته ((وحكى ابن الاعرابي)) قال كان الحرث بن أبي شمر الغساني اذا أعجبته امرأة ووصفت له بعث اليها واغتصبها نفسها فوجه الى الزاهرية بنت خولة بن نفيل بن عمرو بن كلاب فاغتصبها نفسها فأتاه أبوها فقال له

يا أيها الملك المخوف أما ترى * ليلا وصبحا كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تأتي بها * ليلا وهل لك بالمليك يدان
فاعلم وأيقن أن ملكك زائل * واعلم بأن كما تدين تدان

((وعن عدي بن ثابت)) قال سمعت عبد الله بن عباس يقول كان في بني اسرائيل راهب عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤن على يديه وأنه أتي بامرأة من أشرف قومها قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل الشيطان يخوفه ويزين له قتلها ودفنها فقتلها ودفنها وذهب الشيطان في صورة رجل حتى أتى بعض اخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب ثم أتى بقية اخوتها رجلا رجلا فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا كبيرا علينا فأخبر بعضهم بعضا بما قيل لهم فأتوا الى الراهب فقالوا ما فعلت أختنا قال خرجت ولست أدري

أين ذهبت فرفعوا ذلك الى ملكهم فساروا اليه الناس حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذى فعل فأمر به فصلب على خشبة وتمثل له الشيطان فقال له أنا الذى زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعى فيما أقول لك وأخلصك قال نعم قال تسجد لى سجدة واحدة فسجد له الرجل ثم قتل فهذا داخل تحت قول الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ولم تزل أشراف العرب فى الجاهلية يتجنبون الزنا ويذمونه وينهون عنه وروى هشام بن عروة عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل فى الجاهلية وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر وفى وصية دريد بن الصمة اياكم وفضيحة النساء فانها عقوبة غد وعار أبد يقول يكاد صاحبها يعاقب فى حرمه بمثلها ولا يزال لازما ما عاش له عارها (وحكى) بعضهم قال وفد عبد المطلب بن هشام على بعض ملوك حمير فألطف منزلته وأكرمه وكان تاما جميلا فقال له الملك يا أبا الحرث أحب أن ينادمنى ابنك فاذن له أبوه فى ذلك وكان الحميرى أجمل ملوك حمير وكانت زوجته أجمل منه فكان اذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما فعشقت الحرث زوجة الملك فكلفت به فراسلته فأعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه فألحت عليه فكتب اليها

لا تطمعى فيما رأيت فاننى * عف منادمتى عفيف المئزر
أسعى لادرك مجد قوم سادة * عمروا فطفن البيت عند المشعر
فافنى خيالا واعلمى أنى امرؤ * أربى بنفسى أن يعير معشرى

ثم انه أخبر أباه فصوب رأيه وقال له يا بنى ان لنساء الملوك طفا حافلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت والله لا أدعه تمتع به امرأة أبدا فدست اليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه

سقى الاله صدى واريته بيدى * ببطن مكة يعفوه الاعاصير
ياحارث الخير قد أورثتنى شجنا * فما القلب عن ذكراك تغيير
فلست أنساك ماهبت شآمية * وما بدا علم فى الآل معمور

((ولما قتلت)) بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرئ القيس دار فى أحياء

العرب فلم ير منهم ما يحب فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم فأقام عنده شهرا فأكرمه ونادمه وأعجبه كماله وعقله ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم ونظرت اليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت اليه أن يلقاها قبل خروجه فجعل يعتذر لها ويعللها ولا يرضى أن يخون أباها فيما أمر ما فعله معه وخرج منصرفا الى بلده فقالت بنت هرقل لابيها ما صنعت بنفسك وجهت أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب لو قدا استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك فوجه اليه الملك بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها انتفط جلده وتساقط لحمه فنظر الى جبل فسأل عنه فقيل له اسمه عسيب فقال

أجارتنا ان المزار قريب * واني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبرا عند هذا الجبل فسأل عنه فأخبر أنه قبر امرأة من بنات ملوك الروم فمات هناك ((ومما)) فضل به بسطام بن قيس على عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب أن بسطاما كان فارسا عفيفا جوادا وكان عتيبة فارسا عفيفا بخيلا وكان عامر فارسا جوادا عاهرا فاجتمعت في بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلهما بسطام ((قال الشعبي)) تنافر عامر بن الطفيل بن ملك بن جعفر وعلقمة بن علاثة بن الاحوص الى هرم بن قطبة بن سنان الذبياني حكيم العرب فقال لعلقمة بأي شيء أنت أسود من عامر قال أنا بصير وهو أعور وأنا أبو عشرة وهو عقيم وأنا عفيف وهو عاهر ((وانما أطلقت العرب)) حديث الرجال الى النساء لما كانوا يرون من النقص في الريب ويأخذون أنفسهم بحفظ الجيران وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء والتحرز من العارلان الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمة لا يرى أحد منهم لنفسه رخصة في اضاعة ذلك وانما يحمل الغدر ويرخص نفسه فيه من باين البوادي وخالط الحضر لانه رأى أجناس العبيد وأخلاط العوام وقد نشؤا على عادة فجروا عليها وان يستوي من كرم طبعه وصحت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له وأحب شيء الى الانسان ما منع عنه فترك الاول طبع وترك هذا تكلف وأما العوام وأخلاط

الناس

الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ولا يستحيون من عار وهم أكثر العالم غدرا ((قال المسيح عليه السلام)) لا يزني طرفك ما غضضت بصرك ((ونظر)) أشعث الى ابنه يوما وهو يديم النظر الى امرأته فقال له يا بني أظن نظرك اليها قد أحبلها أخذ هذا بعض الشعراء فقال

ولي نظرة لو كان يحبل ناظر * بنظرته أنثى لقد حبلت مني

((مرت امرأة)) بقوم من بني نمير فرشقوها بأبصارهم وأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير فوالله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. ولا بقول الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا ((وكان يقال)) أربع لا يشبعن من أربع عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وأنثى من ذكر ((قال اسحق بن سهيل)) رأيت رجلا في طريق مكة وعديله في المحمل جارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له في ذلك فقال انما أخاف عينيها لا عيون الناس ((وكان)) عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصي لزوجها وهي واضعة خمارها تمتشط شعرها فألقت شعرها وقالت لا يعجبني شعر نظر اليه غير ذي محرم مني ((وقال رجل لاعرابي)) ما الزنا عندكم قال النظرة والقبلة قيل له ليس هذا الزنا عندنا قال وما هو قال أن يجلس بين شعبها الاربع ثم يجهد نفسه قال بابي أنت ليس هذا زانيا هذا طالب ولد ((قيل لابي الطمحان العتبي)) أخبرنا عن أقبح ذنوبك قال ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت على نصرانية فأكلت طفشيلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت ((قال الجاحظ)) قرأ قارئ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فقال ابراهيم بن عزوان لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة أما والله لو تعرضت بي ما استعصمت ((بات أعرابي)) ضيفا لبعض الحضر فرأى امرأته فهم أن يأتي اليها في أول الليل فمنعه الكلب ثم أراد ذلك مرة أخرى فمنعه ضوء القمر ثم أراد ذلك في السحر فاذا عجوز قائمة تصلي فلما رأى ذلك قال

لم يخلق الله شيأ كنت أبغضه * غير العجوز وغير الكلب والقمر

هذا يبوح وهذا يستضاء به * وهذه سبحة قوامة السحر

((وصف أعرابي)) رجلا ماجنا فقال والله لو أبصرته عيدان القيان لتحركت أوتارها ولو رأته موسوسة لطار خمارها ((وحكى خريدة بن أسماء)) قال حججنا ونحن في رفقة اذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشيء فلم يجترئ أحد منا ان ينحيها عنها فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ورأى الغريض المغني المرأة وقد سمع الحديث وما تحاكاه الناس عنها فقال لها يا شقية ما فعلت حيتك قالت في النار قال ستعلمين من في النار قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذي حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها فلما تأملت المرأة عرفتها ثم صفرت الحية فاذا الوادي يسيل علينا من جنباته حيات فنهشتها حتى بقيت عظاما ونحن نرى ذلك ثم انصرفنا جميعا فقلنا للجارية التي معها ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة فقد والله رأينا منها عجبا قالت نعم بغت ثلاث مرات تلد في كل مرة غلاما فاذا وضعته سجرت تنورا ورمته فيه وتكتم خبره قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من في النار فزادنا ذلك تعجبا منها ((قال أحمد بن يحيى)) كان مرثد عم عمرو بن قميئة الشاعر عنده امرأة جميلة وكان قد كبر وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم وكان عمرو بن قميئة شابا جميلا وكانت أصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين فخرج مرثد يرمي بالقداح فأرسلت امرأته الى عمرو بن قميئة ابن عمك يدعوك فجاءت به من دبر البيوت فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها فراودته عن نفسها فقال لها لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي يدعى لمثل هذا قالت لتفعلن ما أقول لك أو لأسوءنك قال الى المساءة دعوتني ثم انه قام فخرج وأمرت بجفنة فكبت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها ما لك قالت ان رجلا من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي ويريد فراشك منذ خرجت قال ومن هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة فلما رأى الاثر عرفه فأعرض عنه وجفاه ولم يزده على ذلك وكان أعجب الخلق اليه وعرف ابن قميئة ذلك وكره أن يخبره فقال

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شرا لاصرم مرثدا
عظيم رماه القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع في لومي مرارا وأصعدا
على غير ذنب أن أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتهجدا

وبلغت الابيات مرثدا فكشف عن الامر حتى تبين له فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه ((وذكر هشام بن محمد الكلبي)) عن الحصين بن لبيد قال كان الحطيئة نازلا في بني المسند من بني ضبة فرأى ابنة بنت قرطة أخت العلا وكانت فاسدة فأعجبته فكلمها فأجابته فوقع عليها فحملت منه ثم ارتحل الحطيئة فلما بان حملها زوجها العلا بن غالب بن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه ففي ذلك يقول جرير بن الخطفي

كان الحطيئة جارأمك مرة * والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرن بغالب ومحمد * وافخر بعبس يوم كل فخار

قال وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فأكرمه وأحسن ضيافته فبلغه أنه زان فأراد أن يختبر ذلك فقال لجارية له انطلقي الى الفرزدق وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق فأتته الجارية بالغسل والدهن وذهبت لتغسل رأسه فوثب عليها فركضته وقالت لعنك الله من شيخ ثم خرجت فأتت عمر فأخبرته فنفاه من المدينة وقال جرير

نفاك الاغر ابن عبد العزيز * وحقك تنفى من المسجد

((فقال الفرزدق))

فاوعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت بمهلكها ثمود

((ودخل)) الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فقال أنشدني يا أبا فراس فأنشده قصيدته حتى بلغ الى قوله

خرجن الي لم يطمثن قبلي * فهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان ما أظنك يا أبا فراس الا قد أحللت نفسك أقررت عندي بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال يا أمير المؤمنين ما أحللت نفسي ان كنت

تأخذ بقول الله وتعمل به قال سليمان فبقول الله نأخذ عليك الحد قال الفرزدق فان الله يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون وأنا يا أمير المؤمنين قلت مالم أفعل فتبسم سليمان وقال تلافيتها يا أبا فراس ودرأت الحد عن نفسك وخلع عليه وأمر له بجائزة ((قال أبو عبيدة)) هوى أبو العباس الاعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها فقال لها أطمعيه فأطمعته ثم قال ارسلى اليه فلما أتى فأرسلت اليه فأتاها وجلس زوجها الى جانبها فقال لها أبو العباس انك وصفت لنا فأمسينا فأخذت يده فجعلته على اير زوجها وقد أنعظ فنتر يده وعلم أنه قد كيد فخرج من عندها وقال

أتيتك زائرا فوضعت كفى * على اير أشد من الحديد
على أليه مادمت حيا * أمسك طائعا الا أعود
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعود

((وكان بشار الاعمى)) يرتع فبلغ امرأته ذلك فعاتبته مرارا فخالف لها وأنها سألت عن المكان الذى يمضى اليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال فبذلت لها شيأ وسألتها اذا جاءها بشار أن تبعث اليها ففعلت وقالت أبشار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها فلما خلابها وخالطها ضربت بيدها فى لحيته وشتمته وقالت أين أعانك الفاجرة فقال لها لعنك الله ألا تركتنى حتى أقضى حاجتى فوالله ما رأيت أبرد منك حلالا ولا أطيب منك حراما ((قال اسحق بن ابراهيم)) كان مخارق يهوى البهار جارية أم جعفر وشغف بها حتى أفضى غايته فى حبها فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون فى دجلة وقد عمل الشراب فيه وأم جعفر جالسة فى دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغنى شعر عباس ابن الاحنف

ان يمنعوا فى ممرى قرب داركم * فسوف أنظر من بعد الى الدار
ماضر جيرانكم والله يكلؤهم * لولا شقائى اقبالى وادبارى
لا يقدرون على منعى وان جهدوا * اذا مررت وتسليمى باجهارى

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا بملاحه فقدم وصعدا اليها فدعت له بكرسى وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وقالت لجواريها اضربن معه

فكان أول ما تغنى به

أغيب عنك بود لا يغيره * نأى المحل ولا صرف من الزمن

فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فبطول الشوق والحزن

قد حسن الحب في عيني ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

قال فاندفعت اليها تباريه في الصوت وتغنى

تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت أم جعفر وقالت ما رأيت ولا سمعت قط بأحسن من هذا ووهبت له الجارية فأخذها وانصرف (قال ابراهيم بن الخطيب) حدثني مخارق قال كنت عند الرشيد فلما أراد الانصراف قال لي يا مخارق بكر على فقلت نعم يا أمير المؤمنين فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره فاذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب فنظرت اليها ونظرت الى فلم أملك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي فقلت لغلماني اذا كان المغرب فصيروا الى فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم واذا كنت مت فقد قضيت وطرا قال واقتحمت ودخلت الدار فاذا جماعة مجتمعون وقد أحضروا طعاما فأكلت معهم وأحضر الشراب وغنت الجارية فاذا هي أحذق الناس وأطيبهم فغنيت فقال المعبدي ما أحسنه وأبهاه فمن هو فقال له القوم ما نعرفه فقال ما أظارف هذا يدخل منزلي بغير أمرى ابغوا الى صاحب الشرطة وكل ذلك بسمعي قالت الجارية يا مولاى لا تفعل لعل له عذرا فجيائى هب لى جرمه فقد رحمته واحسب ان هذه صناعته قال فطابت نفسى فلما خرجت قال لي يا فتى تغنى فقلت نعم فغنيت فطرب القوم وقال المعبدى ان كان في الدنيا مخارق فأنت هو وقلت نعم أنا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود اليه الجواب ثم وزن مالا ووجه به فلما كان بالعشى قال يا غلام هات تلك العتيدة فأحضر عتيدة مملوءة طيبا وقال هات ذلك التخت فأحضره اياه فقال أندرى ما نحن فيه قلت لا قال قد اشتريت لك الجارية بأربعين ألف دينار وهذه عتيدة فيها طيب وتخت ثياب فأخذت بيدها وانصرفت بها مسرورا فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي يا ابن الفاعلة أين كنت فحدثته الحديث فسر به وقال ما توهمت أن في أهلي مثل هذا

وأمر من ساعته أن يحمل اليه أربعون ألف دينار ((وكان ليوسف بن القاسم)) وهو أبو أحمد بن يوسف وزير المأمون غلام أسود متأدب نشأ فى الاعراب فهوى جارية لرجل قرشى فشكاه القرشى لمولاه فضربه وحبسه وحلف أن لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فقيل له ويحك أتحب كما تحبها فقال

كلانا سواء فى الهوى غير أنها * تجلد أحيانا وما بى تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنونى عليها حين أنهى وأوعد

فبلغ مولاها شعره فقال وان فيه لهذا الفضل فركب من وقته الى القرشى فقال له أسألك أن تبيعنى هذه الجارية بأى ثمن شئت فقال ما أفعل حتى أعرف السبب فى ذلك فعرفه الخبر وأنشده البيتين فقال أشهدك أنى قد وهبت له الجارية وأنا أعطى لله عهدا ان أخذت لها ثمنا أبدا الشفاعتك وأدب الغلام ووجه الجارية معه فدفعها الى الغلام ((قالوا)) كان المتوكل جالسا يوما فى القصر الذى يقال له المختار اذ مر خادم أسود لفتيحة مبادرا يريد الدخول الى دار النساء فسقط منه كتاب مختوم فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فاذا فيه مكتوب

أكثرى المحو فى الكتاب ومحيه * بريق اللسان لا بالبنان
ومرى الختام فوق ثنايا * لك العذاب المفلجات الحسان
اننى كلما مررت بحرف * فيه محوا لطعته بلسانى
فأراها تقبيلة من بعيد * أهديت لى وما برحت مكانى

فقال يافتح ماترى لقد اجترأ على من كتب هذا الشعر على بالخادم فأتى به وقد علم الخادم أن الكتاب سقط منه فطار عقله خوفا ورعبا فقال له من دفع هذا الكتاب اليك وأنت آمن فان صدقت نجوت وان لم تصدق ضربت عنقك قال يامولاى ان لمولاتى فتيحة وكيلا يتصرف فى أمرها من أبناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة وأنا أسعى بينهما بالكتب التى يتكاتبان بها فقال له امض بلا خوف عليك ثم قام المتوكل فدخل على فتيحة وقال لها تأخذى فى أمر جاريتك نسيم الكاتبة فانى قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم وأمر باحضار الوكيل فقال له هل لك فى نسيم فذهب عقله وطار قلبه وخاف خوفا شديدا فقال له تكلم وأنت آمن فقد زوجتكها وأمهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك

بعشرة

بعشرة آلاف تولّيها وسأل فتيحة تعجل زفافها اليه ففعلت (وحكى) الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان وكان يحبها ويحبها حبا شديدا فغضبت عليه فطلب رضاها بكل أمر فأبت حتى أضر به ذلك وشكاه الى خاصته فقال له عمر بن الاسدى مالى ان أرضيتها قال له حكمك قال فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكى فقالت له حاضنتها مالك يا أبا حفص قال قد جئت الى بنت عمى فى أمر مهم عظيم فاستأذنى لعلها تقضى حاجتى فقالت مابالك فقال لها قد عرفت حالى مع أمير المؤمنين عبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فتعدى أحدهما على الآخر فقتله فقلت أنا ولى الدم وقد عفوت فقال أمير المؤمنين ما أحب أن أعود رعيتى هذا وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله الا كلمتيه فيه وسألتيه فى ابقائه لى فانك تجمعين فى ذلك احياءه واحياء نفسى فانه ان قتله قتلت نفسى فقالت ما أكلمه فقال لها اما أظنك تكسبين شيأ أحب من احياء نفسين وبكى بكاء شديدا فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت على بثيابى فلبست وكان بينها وبينه باب قد ردمته فأمرت بفتحه ثم دخلت فاقبل أحد الغلمان فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك رأيتها قال نعم يا أمير المؤمنين واذا هى قد أقبلت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت فقالت أما والله لولا مكان عمر بن بلال مافعلت ولا أتيتك والله ان عدا أحد بنيه على الآخر فقتله وهو الولى وقد عفا عنه لتقتله قال أى والله وهو راغم قالت أنشدك الله أن لا تفعل فدنت فاخذت بيده فاعرض عنها فاخذت أرجله فقبلتها فاكب عليها وضمها الى نفسه ورفعها الى سريره وقال قد عفوت عنه فتراضيا وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة فدخل عمر بن بلال فقال يا أبا حفص ألطفت الحيلة فى القيادة فلك حكمك فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة قال هى لك قال ومرابض لولدى وأهل بيتى قال وذلك كله لك وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلى على القواد خدعنى ((ويروى)) ان معاوية بن أبى سفيان رحمه الله رأى كاتباله يكلم جارية لاهرأته فاختة بنت قريظة فى بعض طرق داره فقال له أتحبها قال أى والله يا أمير المؤمنين قال اخطبها من فاختة فخطبها وكلم معاوية فاختة فاجابته فزوجها منه فدخل معاوية وبين

بدمها عتيدة من العطر لعرس جاريتها فقال هو فى عليك يا بنت قريظة انى أحسب الاتنا تأتى بعد حين ((قال عمر بن شبة)) كان الاحنف بن قيس يوما جالسا مع معاوية اذ مرت بهما وصيفة قد دخلت بيتا من البيوت فقال معاوية يا أبا بحر أنا والله أحب هذه الجارية وقد أمكنتنى منها ولولا الحياء من مكانك فقال الاحنف فانا أقوم قال بل تجلس لئلا تستريب بنا فاطمة فقال الاحنف شأنك فقام معاوية اليها فبينا هو عاجنها اذ خرجت بنت قريظة فقالت للاحنف يا قواد أين الفاسق فاومأ الاحنف الى البيت الذى هو فيه فاخرجته ولحيته فى يدها فقال لها الاحنف ارفقى بأسيرك رحمك الله فقالت يا قواد وتتكلم أيضا فقال معاوية يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام ((قال ابن شبة)) كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء من أحسن الناس وكانت من هذيل وكانت رتقاء فتزوجها ابن عم لها فمكثت حينا لا يقدر عليها لشدة ارتقاقها فابغضته بغضا شديدا فطلبت منه الطلاق فطلقها ثم انه أصاب أهل المدينة مطر شديد فى الخريف وسيل عظيم فخرج اليه أهل المدينة وخرجت صهباء مع أهلها وخرج ابن جحش بأصحاب له للنزهة فلما انتصف النهار وخلا الوادى خرجت صهباء واستنقعت فى السيل وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء فرآها فأحبها وتمالك عليها وكان بالمدينة امرأة دلالة على النساء يقال لها قطبة وكانت تداخل القرشيين بنسائهم فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال اخطبيها على قالت قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأنعم لهم أهلها ولا أراهم يعطون عيسى البتة فشتمها ابن جحش وقال كل مملوك لى حر لوجه الله ان لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لاضربنك ضربة بالسيف وكان مقداما جسورا ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء ما باله فارقها فاخبرتها خبره فاصغت الى عمتها فقالت لها وأسمعت صهباء أما والله لو كان ابن جحش لثقبها ثقب اللؤلؤة ثم خرجت من عندهم فارسلت اليها صهباء أن مرى ابن جحش فليخطبنى فلقيت قطبة ابن جحش فاخبرته بالخبر فخطبها فانعمت له وأبى أهلها الا عيسى بن طلحة وأتت صهباء الى ابن جحش فتزوجها وافتضها من ساعته وفيها يقول

دار لصهباء الذى لا ينتهى • عن ذكرها أبدا ولا ينساها

صفراء يطويها الضجيع لطافة * طي الحمالة لينا متناها
نعم الضجيع اذا النجوم تغورت * بالقرب أخراها على أولاها

((قالوا)) كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوي النعمة في ليلة من شهر رمضان في المسجد يصلي اذ عرض له في منزله بعض الامر فانصرف من التراويح فأصاب بابه مفتوحا واذا رجل مع ابنته في محلها يحدثها فاخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبي عتيق فدق عليه فاشرف عليه فقال أردت أن أكلمك جعلت فداك قال فانحدر اليه فقال له ان هذا الفتى وجدته في منزلي على حال كذا فسألته فزعم أنه ابنك فأقبل ابن أبي عتيق فاخذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيرا وقال ان يعود الى شيء تكرهه أبدا ان شاء الله فاخذ الفتى فلكزه وشتمه فلما ولى الرجل قال للفتى من أنت ويلك قال أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها في هذه الليلة أتحدث عندها فما راعني الا أنه واقف على رأسي فلم أجد ملجأ الا أن اعتزيت اليك لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك قال أخبرني عن الجارية أتحبك قال نعم قال فهل يمكنك أن تاتي بها الى منزلي هذا قال نعم قال فعدها وائت بها وأمر غلاما له وقال اذا جاءت المرأة التي يأتيك بها هذا الفتى فادخلها وأجلس أنت مع الفتى وأرسل الي من يعلمني ففعل الفتى وأتى بالجارية الى المكان وأرسل الى ابن أبي عتيق فعرفه فارسل الى أبي الجارية انك قد اصطنعت الى فتانا يدا وقد أحببنا أن نصنع اليك مثل ذلك في فتاتكم فادخله عليها فلما رآها استرجع فقال له ابن أبي عتيق ما هذا أهون عليك هذا الامر واقبل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ألحقوا النساء باكفائهن ان هذا الفتى ليس والله لي بولدي ولكن هو قد انتسب الي لما أدركه من النجاة منك وهو فلان بن فلان التاجر وهو من نظرائها وأكفائها فهل لك أن تزوجها اياها وأصدقها عنه من مالي مائة دينار قال له نعم ولم يبرحوا حتى زوجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده وسأله التعجيل بزفافها اليه ((وحكى)) عن ابن أبي ورقاء الجبلي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت باول مرحلة نزل غلماننا ففرشوا بسطهم وهيئوا غداءهم ونزلت ولم يجيء أحد بعد فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة فاره البرذون فصحت بالغلمان فاخذوا دابته ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم

وجعلت لا أكرمه بشيء الا قبله وكنا كذلك ساعة اذ جاء غلمانه ثم تناسبنا فقال
الرجل أنا طريح بن اسمعيل الثقفي فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا يدرك طرفها فقال لي
طريح ما حاجتنا الى زحمة الناس وليست بنا اليهم وحشة ولا مخافة فتأخر بنا بعد
القوم فنزلنا الى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا الى النهر نستنقع فيه فلما
نزع ثيابه اذا آثار داهية في جنبيه يلج فيها الكف فوقع في نفسي منه شيء فنظر الي
وفطن وتبسم وقال لي قد رأيت عجبا منذ لما رأيت ما بي وأنا أحدثك حديثه اذا
سرنا العشية فلما ركبنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد
بالدنيا وما فيها وركبت الى يوسف بن عمر ومع قرابتي منه فلا يندي فخرجت من
عنده الى الطائف فلما اشتد في الطريق وليس يصحبني فيه خلق عن لي أعرابي على
قعود له وهو حسن الحديث قد روى الشعر وأنشد لنفسه فقلت له من أين أقبلت
قال لا أدري والله قلت فالى أين تعمت قال لا أدري والله قال فقلت فما قصتك
فقال أنا عاشق بجارية من قومي قد أفسدت عيشي وتلفت فأنا أستريح بان
أنحدر في الطريق مع منحدريه وأصعد مع مصعديه قال فقلت له وأين هي قال غدا
تنزل بازائها وأخذ يحدثني بحديثه معها فلما جئنا الى الموضع قال لي انزل ذلك
المكان فانها عنده منقطعة فادركتني أريحة الحداثة وأخذت منه علامة
ما بينهما وقصدت حيث أشار لي فاذا بيت جديد عن الطريق واذا امرأة جميلة
حديثة طريفة فذكرته لها ووديت رسالته وأمارته فزفرت زفرة كادت تنفت
أضلاعها قالت أو حي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بائتون
ومصطبحون قالت فاني أرى لك وجها يدل على الخير فهل لك في الاجر فقلت فقير
اليه قالت فالبس ثيابي وادخل في أريكتي ودعني حتى آتيه فانك تحيي نفسين
وتغنم أجرا عظيما قلت أفعل ما تريدين قالت انك اذا أمسيت أتاك زوجي في
هيئته فقال يا فاجرة فاوسعه شتما فاوسعه صمتا ولا تجعل انك سمعته فانه يقول في
آخر كلامه أقمعي سقاك يا عدوة فضع القمع في هذا السقاء الآخر فانه مخرق قال
ومضت فجاء زوجها ففعل ما قالت وقال اقمعي سقاك فخيبني الله ان تركت الصحيح
وقمعت الواهي فما أشعر الا واللبن ينسكب بين رجليه فقصد الى زاوية البيت
فتناول حبلا ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان فجعل لا يتقي به رأسا ولا وجها

ولا جنبا فخشيت أن يبدوله وجهي فالزمته الارض فمهل بجنبي وظهري ماترى ومضى عني فلما كان الصباح جاءت فرأت ماحل بي من الشرفا كبت علي وقالت بابي أحييت نفسي بقتل نفسك ودخلت تعتذر وتتلهف لمابي وتدعولي وتتضرع فاخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شئ (وقد قدمنا في أخبار قيس ابن ذريح) كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها حتى ساءت حاله وتلف عقله واشتد مرضه وأشرف على حتفه فقال أهله لو زوجتموها لييئس منها ويسلا عنها فخطبها رجل من قريش وحكم أباها في المهر فزوجه اياها فحملها معه الى المدينة فقال قيس

وقالوا تراها فتنة كنت قبلها * بخير فلاتندم عليها وطلق
فليت وبيت الله انى عصيتهم * فانبت في رضوانها كل موثق
وكلفت خوض النار سبعين حجة * وكنت على أثباج بحر مغرق
كأني أرى الناس المقيمين بعدها * نقاعة ماء الحنظل المتغلق
وتنكر عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

((قال)) وخرج ابن أبي عتيق يريد العمرة فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه فقال دلوني عليه فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحب به وقال من أنت حياك الله وعافاك قال فانتسب له ابن أبي عتيق وقال له بن حديثك لي تجدني معينا لك على أمرك ان شاء الله فاستحى قيس من ذلك وامتنع ساعة ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشي فقال ياهذا اني خرجت من منزلي أريد العمرة التماسا للثواب وقد عزمت عندما سمعت أن أترك ماخرجت اليه فارجع معك احتسابا للأجر فبكر فامض معي أيها الرجل واكتم شأنك ولا يعلم أحد من أهلك فحمله معه وأقبل راجعا نحو المدينة فاستقبله أهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه فجعل يعتذر وهو يقول لهم عاقني عن ذلك عائق وأخفى قيسا في منزله أياما ثم سأل عن منزل القرشي فدل عليه فبعث مولاة له عجوزا الى لبنى تخبرها بقيس وبما صار له من عشقها فقالت يعز علي وما حيلتي له أطاع أباه وفارقني في غير جرم وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لي على نفسي وان كبدي عليه لحرا وان عيني لعبرا منذ فارقته وانها لما علمت بمكانه اشتد ولهها حتى أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيأ تنكره فجعلت لا تجيب جوابا وجعل يعتذر اليها فقال لها ما أراك

الا ذكرت قيسا فقالت له هيهات وأين أنا من قيس وأين قيس مني اله عن هذا الحديث قال وبلغت العجوز ابن أبي عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها عودي اليها فقولي لها ان كنت على العهد فانك ستصلين الى ما تريدين قالت أي والله لا أزال على عهده مقيمة أو يفارق روحي جسدي ولا أكافئه بسوء فعل كان منه الي قال وأقبل ابن أبي عتيق ومعه جماعة من أشراف قريش وغيرهم حتى أتوا منزل القرشي زوج لبنى فأكبر مجيئهم فقالوا انا جئناك في حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها قال لهم قضيت حاجتكم قال ابن أبي عتيق كائنة ما كانت قال له نعم قال فان حاجتنا أن تجعل أمر لبنى في يدي قال القرشي وهل رأيت أحدا سئل مثل هذا قال فهي حاجتنا وقد جئت اليها قال فاني قد فعلت قال فيشهدون عليك أن أمرها في يدي قال نعم قال ابن أبي عتيق فاشهدوا أنها طالق ثلاثا قال قد أجزت قال فما برحوا حتى نقلها ابن أبي عتيق الى منزله فلما انقضت عدتها زوجها من قيس وأصدق عنه وجهزها بأحسن جهاز وحملها معه الى منزله فما لبثت عنده الا يسيرا حتى نهشته الافعى كما قدمنا في حديثه فمات وماتت بعده هكذا رواه أحمد بن أبي طاهر ولست أدري صحة هذا الحديث لانا كنا قدمنا في حديثه ما يخالف هذا من أنه لم يتزوج بها ثانيا (حكى) الهيثم بن عدي عن الكلبي قال كان ملك النعمان ابن المنذر أربعين سنة لم ير منه في ملكه سقطة غير هذه وذلك أنه ركب يوما فنظر الى امرأة خارجة من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال على بعدي بن زيد وكان كاتبه وخاصته فقال له يا عدي قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها انه هو الموت فلا بد في أن تتلطف في الجمع بيني وبينها قال ومن هي قال قد سألت عنها فقيل لي امرأة حكم بن عوف رجل من أشراف أهل الحيرة قال فهل أعلمت بذلك أحدا قال لا قال فاكتمه فاذا أصبحت فجد بكل كرامة لتزيلك يريد حكم بن عوف فلما أذن للناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على سريره فأعجب الناس حاله وتحدثوا به فلما أمسى فأذن للناس بدأ به فأكرمه وأجلسه معه وكساه وحمله ففعل به ذلك أياما ثم قال له عدي أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال له يا حكم اني قد طلقت فلانة لك فتزوجها فقال حكم لعدي ما صنع الملك بأحد ما صنع بي ولا أدري بما أكافئه فقال

عدى طلق امرأتك كما طلق امرأته ففعل وحظى عدى بها عند الملك وعلم الرجل أنه مكر به فى امرأته وفيها يقول بعض أهل الحيرة

ما فى البرية من أنثى تعادلها * الا التى أخذ النعمان من حكم

(وحدث الزبير) أنه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود وكان عاشقا لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين فتزوجها رجل منهم يقال له دهيم فأبت ريا الا حب عمرو بن عود وأبى الا حبها وقول الشعر فيها والوجد بها فخرج زوجها بها حتى أتى اليمن فنزل فى بنى الحارث بن كعب فطلبها عمرو وخفى عليه أمرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا فمكث حينا لما به يبكى له من عرفه لوله وشدة ما أصابه فخرج به أهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى أن يرحمه ربه ويذهب ما فى قلبه من حبها فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بنى الحرث بن كعب فتعجب مما به وجلس يتحدث معه وسأله عن حاله فشكى اليه عمرو وجده بها وأنشده ما قال فيها فرق له الفتى ورحمه وسأله عن صفتها وصفة زوجها فوصفهما له فقال له الفتى عندى خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة فخر عمرو ساجدا ثم سأله عن حالها فأخبره أنها سالمة وأنها باكية حزينة لا يهنيها شئ من العيش قال عمرو فهل لك فى صنيعة عندى فقال له الفتى اذن افعل ما بدا لك قال تخلف عن أصحابك وأتخلف عن أصحابى حتى لا يكون عند أحد منهم علم ثم أمضى معك متنكرا حتى تخفينى فى موضع ثم تعلمها بمكانى قال الفتى لك ذلك فى عنقى فلما كان النفر تخلف كل واحد منهما عن أصحابه فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا ثم مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع أخته وامرأته فى سترهما ومضى الى ريا فاخبرها فكانت تجىء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء ويتحدثان فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله واستراب أيضا تطيب نفسها وأنها ليست كما كانت وخرجت رفقة الى حران فاخبرها أنه خارج معها فخرج وأقام ليلتين مختفيا فى موضع وأقبل راجعا فى الليلة الثالثة وقد أمناه وظنا أنه قد خرج فاتى عمرو الى ريا فبسطت له بساطا قدام البيت وتحدثا حتى غلبهما النوم وهى مضطجعة الى جانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر وأقبل الرجل حتى وجدهما على تلك الحال فنظر فى وجه عمرو فانتبه فزعا فقال له

ويلك يا عمرو وما يعجبني منك بر ولا بحر فقال يا ابن عمي ما أنا والله على ريبة ولا بسا ألني الله عن أهلك عن قبيح ولكن نشأت أنا وهي وألفتها ونحن صبيان ولست أستطيع عنها صبرا وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذي ترى قال أما أنا فلم أهرب الى هذا البلد الامنك فانصرفا راجعين وهي معهما حتى قدما على وطنهما فأقاما وهما على تلك الحالة فمات عمرو وجدا بها فكانت لا تزال باكية عليه حتى ماتت بعده بيسير ((حكى)) سنة بن عقال عن الشعبي قال حدثني رجل من بني أسد قال اني لذات يوم في الحي اذ أقبل فتى نظيف الثوب حسن الوجه حتى وقف بي فقال يا فتى هل نزل بك حي من بني عذرة قال قلت نعم وتيك بيوتهم قال وهل أحسست لي بكرة صفتها كذا وكذا قال قلت لا فنزل ثم قال أأنت منشدها لي في أبيات الحي قال فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا أنشد فقالت لي جارية عند الاكمة فاشرفت على الاكمة فلم أر شيأ فأخبرته فأخرج سفرة معه ودعاني فأكلنا ثم نام وجعلت أراعيه حتى ظن أني قد غفت فأخرج حلة من رحله فلبسها ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى أتى الاكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني فاذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها يا بثينة قلت فيك كذا لقيت فيك كذا ولم يزل يحدثها وينشدها وتحدثه حتى اذا كان في السحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعة فلم يشعر الا بالفجر قد برق فقالت قم يا جميل لا يفضحنا الصبح قال فرجعت مبادرا حتى رميت بنفسي في الرحل وجاء فايقظني ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليل فاصير الى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة الى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان الى أن فطن بعض الحي بأمري فقالت لي بثينة انج بنفسك فان الحي قد شعروا بك وقل لجميل موعدك وسكن البطن (١) وأتيته فأخبرته فمضى وانقطع عني خبره ((وروى)) عن يحيى بن خالد بن برمك قال كنت أهوى جارية دنانير وهي لمولاتها زهراء فلما وضع المهدي الرشيد في حجري اشتريتها فلم أسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وعلكها فما لبثت الايسيرا حتى وجه المهدي ابنه الرشيد غازيا الى بلد الروم فخرجت معه فعظم على فراقها فابت لا آتهنأ بطعام ولا بشراب صبابة بها وذكرا

(١) اسم موضع خارج المدينة اه قاموس

لها فأنا ليلة فى مضربى وقد أصابنى برد شديد وثلج كثير وأنا أتقلب على فراشى أذكر الجارية اذ سمعت غناء خفيا وصوت عود بالقرب منى فانكرت ذلك وجلست على فراشى فأشجانى الصوت من غير أن أفهم حتى أبكانى فقمت ولم أوقظ أحدا من العسكر حتى انتهيت الى خيمة صغيرة من خيام الجند فاذا فيها سراج فدنوت منها فاذا فتى جالس واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفى حجره عود يضرب ويتغنى بهذا الصوت

ألا يا لقومى اطلقوا غل مرتهن * ومنوا على مستشعر الهم والحزن

ألم ترها بيضاء رودا شبابها * لطيفة طى البطن كالشادن الاغن

قال فكلما غنى بيتا بكى وتناول قدحا فصب فيه من ذلك الشراب وشرب ثم يعود الى مثل ذلك قال فأقمت طويلا لا أرى ما يفعل وأبكى لبكائه ثم سلمت فرد السلام واستأذنت فأذن لى فدخلت فلما رآنى أجلنى وأوسع لى فقلت يا فتى خبرنى بخبرك وما أنت فيه وما سبب هذا البكاء قال أنا فتى من (٢) الانباء لى ابنة عم قد نشأنا جميعا فعلقتها وعلقتنى ثم بلغنا خيبت عنى فسألت عمى لبزوجنيها فأجاب فمكثت حينا أحتال لمهرها حتى تهيأ فاديته فدخلت بها فلما أن كان يوم سابعه ضرب على البعث وخرجت وبى من الشوق اليها مالا أجده فحملت معى هذا العود فاذا أصبت شرابا فى بعض هذه القرى أخذت منه شيأ ثم أفعل ما ترى تذكارا اليها فقلت فهل تعرفنى فانكرنى فما أدرى أتعمدا أم حقيقة قال فقلت له أنا يحيى بن خالد فلما قلت له ذلك نهض قائما فقلت اجلس فاذا كان غدا فالقنى فهذا مضربى بالقرب منك فانى أصير منك الى ما تحب قال ووافق ذلك رسولا قد هيأناه الى المدينة فما كان أسرع شئ حتى دنا الصبح وتهيأ الناس للرحيل فاول من لقينى ذلك الفتى فاثبت وجهه فقلت له من أنت وفى قيادة من أنت فخبرنى فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعى المؤامرات فكنت آمرها على شمعة من عنوان يكون له فيها فقلت وفتى من الانباء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم معونة له ويصحب فلانا الرسول ففعل ذلك وانصرف الى أهله (حكى) ابراهيم بن اسحق الموصلى عن أبى السائب المخزومى قال تعشق العرجى امرأة

(٢) هم قوم من العجم سكنوا اليمن اه قاموس

أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس قريبا مني فجعل يحدثني حديثا كأنه الدر ذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل في البان عود مطافل

قال فبينما هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيته فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسي ان قبضت على السوط قلت أخاف أن تكسرهما فانهما رقيقان قال وهما مع ذلك عذبتان قال ثم رفع عقيرته وجعل يغني

اذا قبل الانسان من يحبه * ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فان زاد زاد الله في حسناته * مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لي ما هذا الذي علقت على سرجك قلت شراب أهداه الي بعض أهلي فهل لك فيه قال وما أكره منه فأتيت به فوضعته بين يديه فلما شرب منه نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولدا فاذعرها قانص فلم تطري فرفع عقيرته وجعل يغني

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له * وهن أضعف خلق الله انسانا

فقلت له من أين لك هذا الشعر قال وقع رجل منا باليمامة فانشدنيه قال ثم قمت لاصلح شيأ من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأنما وجهه الشمس حسنا فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأجل صنعك قال فكيف قلت له مما راعني من نورك وبهرني من جمالك قال وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدري أينعم بعد ذلك أم لا قلت بل يصنع الله بك خيرا ان شاء الله ثم أقبل على فرسه فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع واذا ثدي كأنه حق فقلت نشدتك الله امرأة قالت أي والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل فقلت وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أفقد من أنسها شيأ حتى مالت على الدوحة سكرى فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين في عيني ثم ان الله عصمني فما لبثت ان انتبهت مرعوبة فلاثت عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها فقلت زوديني منك زادا فأعطتني ثوبا من ثيابها فشممت منه كالروض الممطور ثم الى قلت أين الموعد فقالت ان لي اخوة شوسا وأبا غيورا والله لان أسرك أحب الي من أن أضرك قال ثم مضت فكان والله آخر العهد بها

الى يومى هذا فهى التى بلغت بى هذا المبلغ وأحلتنى هذا المحل قلت له والله يا أبا المسهر والله ما كان يحسن الغدر الا بك فاذا به قد أخضلت لحيته بدموعه باكيا فقلت والله ما قلت هذا الا مازحا وزادتنى له رقة فلما انقضى الموسم شددت على ناقتى وشد على ناقته وحملت غلاما لى على بعير وحملت عليه قبة ادم حمراء كانت لابى ربيعة وأخذت معى ألف دينار ومطرفا ثم خرجنا حتى أتينا كلبا فسألنا عن الشيخ فاذا هو فى نادى قومه فسلمت فقال وعليك السلام من أنت قلت عمر بن أبى ربيعة المخزومى قال المعروف غير المنكر فما الذى جاء بك قلت خاطبا قال أنت الكفء الذى لا يرغب عن حسبه والرجل الذى لا يرد عن حاجته قلت له انى لم آتك عن نفسى وان كنت موضع الرغبة ولكن أتيتكم فى ابن أخيكم العذرى قال والله انه لكفء الحسب غير أن بناتى لا يقعن الا فى هذا الحى من قريش فعرف الجزع فى نفسى وتبين له فى وجهى وقال أنا أصنع لك شيأ لا أصنعه لغيرك قلت ما هو قال أخيرها الا انك أنت تختار لغيرك فأومأ الى صاحبى أن أمره ان يخيرها فقلت افعل ثم مضى الشيخ وقد أتى وقال انها قالت ان الامر أمرك والرأى للقرشى يختار لى ما رأى فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم وقلت قد زوجت الجارية بجعد بن مهجع وأصدقتها ألف دينار وهى هذه وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف فقبله وسألته ان يبنى بها من ليلته فأجابنى الى ذلك وضربت القبة فى وسط الحى وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ خير مبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الى فقلت له كيف كنت بعدى وكيف هى فقال أبدت لى كثيرا مما أخفت يوم رأيتها فقلت عليك أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت الى أهلى وأنا أقول

كفيت أخى العذرى ما قد أصابه * ومثلى لاثقال النوائب أحمل

أما استحسنت منى المكارم انها * اذا عرضت أنى أقول وأفعل

(وحكى المداينى) ان رجلا من بنى عقيل كان يسمى صخرا وكانت له ابنة عم تدعى ليلى فكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث فى كل ليلة ثم ان أبا صخر زوج صخرا الامرأة من الازد وصخر لذلك كاره فلما بلغ ليلى الخبر قطعته فمرض صخر مرضا شديدا

فكان أهله يقولون سحرته ليلى لما كانوا يرونه يصنع بنفسه وكانت ليلى أشد وجدا به وحبا له فأرسلت جاريتها اليه وقالت لها اذهبي الى مكاننا وانظري هل ترى صخرا فاذا رأيتيه فقولي له

تعسا لمن بغير ذنب يصرم * قد كنت يا صخر زمانا تزعم

انك مشغوف بنا متيم * حتى بدا منك لنا التجهم

قال فاتته الجارية فابلغته قولها ووجدته كالشن البالي وجدا وحزنا فقال قولي لها

فهمت الذي عبرت والله شاهد * لما كان عن رأي ولا كان عن أمري

فان كنت قد سميت صخرا فانني * لاضعف عن حمل القليل من الهجر

ولست ورب البيت أبغي سواكم * حبيبا ولو عشنا الى ملتقى الحشر

فقالت له الجارية يا صخر ان كنت كارها التزويج أبيك فاجعل أمر امرأتك بيدي لتعلم ليلى أنك لغيرها قال ولعهدها راع وانك كنت مكرها قال قد فعلت قالت فهي طالق منك ثلاثا وأخبرت ليلى فاظهرت من ذلك جزعا وتراجعا الى ما كانا عليه من اللقاء والجارية تختلف بينهما ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه يا صخر ألا تبتني باهلك قال وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها فاعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى

ألا بلغا عني عقيلا رسالة * فما لعقيل من حياء ولا فضل

نساؤكم شر النساء وأنتم * كذلك ان الفرع يجري على الاصل

أما فيكم حر يغار باخته * وما خير حر لا يغار على الاهل

قال وهجتها ليلى حتى شاع خبرهما وسعت الجارية الى أهل صخر وأهل ليلى وماهما عليه وانهما يخاف عليهما من لوم الفعل ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها ((وحكى الاصمعي)) قال خرج المهدي حاجا حتى اذا كنا ببعض الطريق اذا أعرابي يقول يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أنا عاشق وكان المهدي يحب ذكر العشاق وحديثهم فوكل به بعض الغلمان فلما نزل أمر باحضاره قال أنت المنادي قال نعم يا أمير المؤمنين قال له ما اسمك قال أبو مياس قال أمير المؤمنين من عشيقتك قال له ابنة عمي وقد أبى علي أبوها أن يزوجنيها قال لعله أكثر منك مالا قال أنا أكثر منه مالا قال له فما قصتك قال له أدن رأسك مني فجعل المهدي يضحك

وأصغى اليه برأسه قال له انى هجين قال له ليس يضرك ذلك اخوة أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء قال له وأين عمك قال له على ثلاثة أميال قال فارسل أمير المؤمنين فى طلبه فجىء به فقال له مالك لا تزوج أبا ميّاس فانى أرى عليه نعمة قال متاع سوء وليس مثلى يزوج مثله قال فان الذى كرهت ليس مما يعاب به عندنا وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم قال فذلك لك قال فخرج أبو ميّاس وهو يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما * يعطى الغلاء بمثلها أمثالى
وتركت أسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالى

((قال سعيد الصغير)) كان المنتصر بالله فى أيام امارته وجهنى الى مصر فى بعض أمور السلطان فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء فابى مولاها أن يأخذ منى الا ألف دينار ولم تكن تحضرنى ولا وجدت أن أقرضها وأزعجنى الشخوص وقد علقها قلبى وأخذنى المقيم المقعد من حبها فلما قدمت الى المنتصر وعرفته ما بعثنى فيه سألنى عن حالى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها وقصتى مع مولاها فاعرض عنى وصار مابى يزداد ولم أملك صبرا وجعل المنتصر كلما دخلت وخرجت من عنده يذكرها ويهيج أشواقى اليها ويعيرنى بقلة الصبر عنها وكان قد أمر ابن الخصيب أن يكتب الى مصر فى شراها وحملها اليه من حيث لا أعلم ولا أدرى فلما سارت اليه وعرضت عليه أمرها فغنت وعذرنى فامر قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسنى يوما وهو على فراشه فلما غنى جواريه كانت آخرهن فلما سمعتها عرفتها وكرهت أن أعلمه حتى ظهر على ما كتمت وغلب على الصبر فقال لى مالك يا سعيد قلت خيرا أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا كنت أعلمته انى سمعته منها فاستحسنه من غنائها فغنته فقال هل تعرف هذا الصوت قلت أى والله أيها الامير فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع فى صاحبته فاما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده وجالب حتفه الى حياته قال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك وما يعلم الله انى رأيت لها وجها الا الساعة التى أدخلت على وانما تركتها حتى استراحت من تعب السير وهى لك فاكببت على رجليه ودعوت له بما أمكننى من الدعاء

وشكره عنى من حضر من الجلساء وأمر بها فحملت الى منزلى فما أحد أحظى
عندى منها ولا لى ولد أحب الى من ولدها ((ومن أحاديث المؤلفين)) ما حكاه أبو
الحسن المدائنى قال كان بمكة سفيه يجمع بين النساء والرجال على أقبح الريب وكان
من قريش ولم يذكر اسمه قال فشكا أهل مكة ذلك الى الوالى فنفاه الى عرفات
فاتخذ بها منزلا ودخل مكة مستترا فلقى حرفاءه من الرجال والنساء فقال لهم وما
يمنعكم منى قالوا وأين بك وأنت بعرفات قال لهم حمار بدرهمين وقد صرتم الى
الامن والنزهة والخلوة واللذة قالوا نشهد بانك صادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى
أفسد على أهل مكة أحداثهم وسفهاءهم فعادوا بالشكاية على أميرهم فارسل
وراءه فاتى به فقال أى عدو الله طردتك من حرم الله عز وجل فصرت الى المشعر
الاعظم تفسد وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير يكذبون على ويحسدوننى
فقالوا للوالى بيننا وبينه واحدة تجمع حمير المكارين وترسلها نحو عرفات فان قصدت
داره لما اعتادت من المسير اليها فالقول كما قلنا والا فالقول كما قال فقال الوالى ان
فى هذا لدليلا وأمر بحمير المكارين فجمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله وجاءه
بذلك أمناؤه فامر بتجريده فلما نظر الى السياط بكى فقال له ما يبكيك يا عدو الله قال
والله أصلح الله الامير ما من الضرب جزعت ولكن يضحك منا أهل العراق ويقولون
ان أهل مكة يجيزون شهادة الحمير فضحك الوالى وأمر بتخليته ((قال المدائنى)) كان
مزيد يسبق الحاج فى كل عام الى الحج وكان يأتى الى المدينة فى ثلاثة أيام على
راحلته فتأخر مرة عن وقته الذى كان يجىء فيه لعلة أصابته وكان لامرأته صديق
صواف فلما تأخر ظن الصواف أنه قد مات فاقام عندها ولم يبرح وجاء مزيد فدخل
على الوالى فاخبره ودنا الى منزله فلما رأى أنه قرب من الباب تطلع من كوة واذا
الصواف مع امرأته فى البيت فلم يستفتح فمضى الى المخنثين فدعاهم فاتوا معه
فوقفوا على بابه وأمرهم فضربوا طبولهم وزمروا فاجتمع الناس من كل ناحية
فاقبلوا يقولون له يا أبا اسحق أى شئ حدث فيقول لهم تزوجت امرأتى فقالوا والله ما بلغ
وما هذه القصة فلم يخبرهم بشئ فوقف الصواف خلف الباب وقال يا أبا اسحق
أدن أكلمك فدنا منه فقال اتق الله فى الفضيحة وأنا أفتدى منك قال له اردد على
مهرها ونفقتى عليها فقد أفسدتها قال وكم ذلك قال خمسون دينارا فكتب رقعة الى

غلامه في السوق فبعث بها من قبض المال وجاء به فقال أي بني تفرقوا انما كنت أمزح فقنع رأس الصواف وأنزله وقعد مع امرأته وسكت ((قال أبو عثمان الجاحظ)) كان عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء في منزله وكان بعض المهالبة يتعشق غلاما فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه قال فلقيته من غد وقد بلغني الخبر فقلت له كيف كانت وقعة الجعرانة فقد بلغني خبرها قال لما تدانى الاقوام وقع الالتزام ورق الكلام والتفت الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وجعلت الرماح تمور وقرع البيض بالذكور وشفيت حرارات الصدور ومال كل واحد فاصيبت مقاتل كل هجر وانعقد الوصل واتصل الحبل فلو كان قد أعد هذا الكلام لمسئلتي قبل ذلك بدهر كان قد أجاد وملح ((وحكى)) محمد بن سلام عن يونس قال حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار وكان اسمها العالية فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومي

ظعن الامير بأحسن الخلق * وغدا بلبل مطلع الشرق

وبدت لنا من تحت كلتها * كالشمس أو كغمامة البرق

قال وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال لقد هممت ان أحجر على سليمان فبلغ سليمان ذلك فانقاه ورد ها على مولاها فاشتراها رجل من أهل مصر من مولاها باربعة آلاف دينار ورحل بها الى مصر وكانت في نفس سليمان الى أن ولي الخلافة فقالت له يوما سعدى بنت عبد الله بن عمر بن عثمان زوجته يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شئ تتمناه قال نعم حبابة فارسلت سعدى رجلا الى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار وسار بها الى سعدى فاستأذنت سليمان أن تتنزه في بستانه بالغوطة وأن يزورها اذا استزارته فاذن لها فصيغت حبابة وهيأتها وأعلمتها بمكانها من قلب سليمان وضربت له قبة وشئ وفرشتها ثم أرسلت الى سليمان تستزيره فزارها وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شئ تتمناه قال نعم حبابة قالت يا أمير المؤمنين اني قد أخذت لك جارية ذكرت أنها قد أخذت عن حبابة فهل لك أن تسمعها فقال ان شئت قالت غني يا جارية فغنت سليمان صوتا كان سليمان قد سمعه منها بالمدينة قال فلما سمعه قال حبابة ورب الكعبة فقالت هي حبابة ولك اشتريتها فشأنك بها فقامت وانصرفت وخلتهما فكان

سليمان لا يزال يشكر سعدى على ذلك ((وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى)) ان
عليا عليه السلام ولى زيادا فارسا حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب بعضهم
ببعض حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر فارس ثم ولاه على
اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بسر بن ارطاة ابنته وكتب اليه يقسم عليه
ليقتلنهم ان لم تدخل في طاعة معاوية وتوفي علي عليه السلام فكتب الى معاوية
يدعوه الى طاعته وأن يقره على عمله ويستخلفه اذا كان أبو مريم السلولي شهد
عنده أنه جمع بين أبي سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا وكانت سمية من الزانيات
بالطائف تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا
بالطائف فقال له أكره ترك المشورة من ابى فشاور زياد المغيرة بن شعبة قال ارم
الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد أحد اليه يدا الا الحسن
ابن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك وانقل أصلك الى أصله وصل حبلك بحبله
وأعر الناس منك أذنا صماء وعينا عمياء فقال له زياد يا ابن شعبة لقد قلت
قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له يغذيه ولا ماء يسقيه وعزم على ذلك
وقبل رأي المغيرة وقدم على معاوية فارسلت اليه جويرية عن أمر معاوية
فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت أنت أخي أخبرني بذلك أبي
ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال أشهد أن
أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فأتيته فقلت
له لم أجد الا سمية جارية الحرث بن كلدة فقال ائتني بها على ذفرها وقذرها
فقال زياد مهلا انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أعفيتموني
كان أحب الي فما شهدت الا بما عاينت ورأيت فوالله لقد أخذ بكم درعها وأغلق
الباب عليها وقعدت فلم ألبث أن خرج علي يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان
فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثدييها وذفر من فيها فقال زياد
أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدري حق ذلك من باطله
ومعاوية والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن الثقفي فقال يا معاوية قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان فقال
معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيئا وقوعها هل الا الى الله أقع

قال

قال نعم فاستغفر الله فقال ابن مفرغ ويقال انها لعبد الرحمن بن أم الحكم وجعلها ابن مفرغ

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة على الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان

فاشهد أن آلك من زياد * كآل الفيل من ولد الاتان

((وروى الهيثم بن عدى)) أن الحسن بن على تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان المنذر بن الزبير يهواها فبلغ الحسن عنها شيأ أنكره فطلقها فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته فرمى اليه المنذر بن الزبير عنها شيأ فطلقها وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس اليها امرأة من قريش فاتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر وأعلمتها أنه قد شهر بحبها فقالت قد خطبنى فأبيت أن لا أتزوجه قالت ولم ذلك فوالله انه لفتى قريش وشريفها وابن شريفها قالت شهرنى وفضحنى قالت لها فالآن ينبغى أن تتزوجيه ليعلم الناس أن كلامه كان باطلا فوقع فى نفسها كلامها وجاءت المرأة الى المنذر فقالت اخطبها فقد أصلحت لك قلبها فخطبها فتزوجته فعلم الناس أنه كان يكذب عليها وكان فى نفس الحسن منها شئ وكان انما طلقها لما أبلغه عنها المنذر فقال الحسن يوما لابن أبى عتيق هل لك فى العقيق قال نعم فعدل الحسن الى منزل حفصة فدخل عليها فتحدثا طويلا ثم خرج ثم قال لابن أبى عتيق يوما آخر هل لك فى العقيق يا ابن أبى عتيق فقال له ألا تقول هل لك فى حفصة فتصير اليها على علم وأسعى لك منها فيما تحب فقال الحسن أستغفر الله ((وروى)) ان عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فعشقها وأحبها حبا شديدا حتى منعته عن حضور الصلوات فى جماعة فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها ففارقها فوجد عليها وجدا عظيما فأمره أن يراجعها فراجعها وكانت عنده حتى توفى عنها وكان قد أخذ عليها عينا أن لا تتزوج بعده فجاءها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأفتاها أن تنكح فقالت لست أقبل فى هذا كلامك وحدك لانه بلغها أنه يريد أن يتزوجها فجاءها بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فأفتاها بذلك فخطبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتزوجته فبعث اليها بعشرين دينارا كفرت بها عن يمينها ثم توفى عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله

فلقي الزبير بن العوام هناد بن الاسود وكان لهناد امرأة منكرة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد قال فحلف هناد لامرأته ان هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة فانطلقت امرأة هناد لعاتكة وكانت عندها حتى اذا أتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له فديتك ومن يرد طلحة لقدمه وشرفه وسخائه ولكن ردى رسوله اليوم فانه سيزيدك ضعفا ما أراد يعطيك فردته فقالت امرأة هناد لهناد الق طلحة فقل له أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ففعل ذلك فقال طلحة لا أتزوجها أبدا فامرت الزبير ان يرسل اليها فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد قد بلغك ما في حق الزبير من الشدة أما والله لو تزوجتيه ثم غلبت عليه ليكونن لك بذلك الشرف في نساء قريش ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير وسنذكر بقية خبرها في موضعه بعد هذا ان شاء الله (قال اسحق) بن ابراهيم الموصلي كان ابن زهير المدايني مخنثا وكان يؤلف بين الرجال والنساء وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من لم يدخل قبة ابن زهير لم يصنع في الفتوة شيأ قال فواعد رجل صديقة له الى قبة ابن زهير فجاءت بعد العتمة وجاء الرجل فتعشيا فقالت المرأة أشتهي نبيذا فقال صاحبها لابن زهير اطلب لنا نبيذا قال من أين لنا النبيذ في هذه الساعة قال لا بد منه فلما ألح عليه عمد الى حضض فضربه بماء وصيره في قنينة ثم جاءه به فقال والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه في قدح فذاقه فوجده مرا فكره أن يعيبه فيكرهه اليها فشرب ثم صب فسقاها فلما صار في بطنه تحرك فقال لابن زهير أين المخرج فصعد الى أن حركها بطنها فصعدت الى ان تحرك بطنه فصعد فلم يزالا كذلك ليلتهما فقال ابن زهير امرأته طالق ان كان التقيا الاعلى الدرجة حتى أصبحا مما يختلفان وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لانهما يطلبان النبيذ في منزل ابن زهير القواد بعد العتمة (وكان) جميل أيضا لما اشتهر في بثينة توعده أهلها فكان يأتيها سرا فجمعوا له جماعة يرصدونه فقالت بثينة يا جميل احذر القوم فاستخفي وقال في ذلك

ولو أن الغادون بثنة كلهم * غياري وكل حارب مزمع قتلي
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل وان قطعوا رجلي

فالتقى

فالتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منهما الى صاحبه أنه محصور لا يقدران يزور فقال جميل لكثير أنا رسولك الى عزة قال فأتهم فانشدهم ثلاث نوق سود هرون بالقاع ثم احفظ ما يقال لك قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها لقد رأينا ثلاثا سودا هرن عهدي بهن تحت الطلحة فانصرف جميل حتى أتى كثير فاخبره فاقاما فلما كان نصف الليل أتيا الطلحة فاذا عزة وصاحبة لها فتحدثا طويلا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميل جميلا وكان كثير دميما فغضب كثير وغار وقال لجميل انطلق بنا قبل أن نصبح فانطلقا ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة قال في أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادى الدوم فخرجت معها جارية ترحض ثيابا قال فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير خرجت بي الحمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها فسمع مني انشادا فقال لعزة اشتميه فقالت ما أراك الا تريدان تفضحني فالح وحلف عليها فقالت مكرهة المنشد يعض بظر أمه فقلت

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

فقالت بثينة أحسنت يا كثير وقلت أبياتا لعزة أعاتبها فيهن وأنشدتها

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي * على بعد دار والموكل مرسل

بان تجعلى بيني وبينك موعدا * وان تأمريني بالذى فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتكم * بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة ياجارية أبغنا حطبا من الروضات لنذبح لكثير غريضا من البهم فراح الى جميل فاخبره ثم ان بثينة قالت لبنات خالتها وكانت اطمأنت اليهن وتطلعهن على حديثها اخرجن بنا الى الدومات فان جميلا مع كثير وقد وعدته فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة وصواحبها فما برحن حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا فهما أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ما أدرى أيهما كان أفهم ((قال أبو عثمان الجاحظ)) اذا ابتلى الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظرا اليها ولمحة لمح منها ولم يكن يزوج مثله مثلها وكانت ممتنعة فالحيلة فى ذلك أن يرسل اليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن أن تكون كتومة السر وأن تكون خداعة لها معرفة بالمكر وأن تكون فطنة

متيقظة وأن تكون ذات حرص وأن تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج الى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليهم بان تكون اما بياعة طيب أو قابلة أو صانعة لآلة العرائس وتقدم اليها أرق وألطف ما تقدر عليه ولا تدع شيأ من الشكوى واللطف وتخبرها أن نفسه في يدها وانها متمثلة بين عينيه وأنه لا ينسى ذكرها وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه وأنه ان لم ير منها نظرة أو خلوة هلك وانه لم يمنعه من خطبتها الا خشية الامتناع من أهلها ان كان دونهم في الحسب والجاه والمال وخوف التمنع منها هي أيضا فانها اذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع أن تمكنه بما لها ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها فاذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها فوصل منها الى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام ((وقال هرون بن المنذر)) رأيت عطيطا المغني يضرب جواريه على أنه ليس لهن من يعشقهن فقلت له ويحك أما تتقي الله أي ذنب لهن في هذا ما أهون عليك قال اذا أردت أن أشتري كسوتهن من أين قلت تكسوهن لانك مولاهن فقال وما لهن الزواني الا يجعلن كسوتهن عليهن فقلت انكن سمعتن ما قال قلن نعم والله ونجعل له أولادا قال فتنفس وقال يقولون ما لا يفعلون ((قال الزبير بن بكار)) خرج أبو السائب المخزومي وعبد الله بن جندب الى موضع يتنزهان فيه فلقيا ابن المولى الشاعر فصاح به ابن جندب فقال ما شأنك وأنشد

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة * لما بي ولا ليلى لذي الود تبذل

وأخضع للعتبي اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

وقد زعمت اني سلوت وانني * تباتي عن اتيانها متعلل

قال ابن جندب من ليلى هذه امرأته طالق ان لم أفدها قال هي والله يا أخي قرسي سميتها ليلى ((قال الزبير بن بكار)) قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أحن اذا رأيت جبال سعدى * وأبكي ان سمعت لها حنينا

وقد أزف المسير فقل لسعدى * فديتك أخبري ما تأمرينا

قال فسمعه ابن أبي عتيق فخرج حتى أتى الجبان من أرض غطفان ثم أتى خيمة سعدى فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها ما تأمرينه قالت آمره بتقوى

الله

الله ((أبو غسان المهدى)) قال مر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته بطريق من طرق المدينة فاذا جارية تطحن وتنشد

وعشقته من قبل قطع تمائمى * متمايسا مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر سنة وجهه * يمشى ويصعد فى ذؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت اليه فقال ويلك أحرة أم مملوكة قالت مملوكة يا خليفة رسول الله قال فمن هو قال فبكت ثم قالت يا خليفة رسول الله بحق القبر الا انصرفت عنى قال وحقه لا أريم مكانى أو تعلمينى فقالت

وأنا التى لعب الغرام بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

قال فسار الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وقال هؤلاء فتن الرجال فكم مات بهن كريم وعطب عليهن سليم ((وكان)) فتى من أهل الكوفة عاشقا الجارية وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه فلم يقدر على الوصول اليها فواعدها فى ليلة مظلمة أن تسير اليه وأتى فتسور عليها حائطا فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وقالوا انه لص تسور علينا من الحائط فسأله خالد عن ذلك فكره أن يجحد السرقة فيفضح الجارية فقال له أسارق أنت قال نعم أصلح الله الامير فأمر بقطع يمينه وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الابيات

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يجن عمدا لانه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت فى أمر الهوى غير ناطق
اذا مدت الغايات فى السبق للعلى * فأنت ابن عبد الله أول سابق

ثم حذف الرقعة فوقعت فى حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى الى السجن وصرف القوم فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرفه فبعث الى أبى الجارية فقال قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه قال خوف العار قال لا عار عليك فى ذلك والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره فسأله أن يزوجه ففعل فدفع اليه عن الفتى خمسة آلاف درهم وأمره بتعجيل اهدائها اليه ((سأل رجل بعض العلماء)) عن

الواصلة فقال انك المنقر قال قالت عائشة رضى الله عنها ليست الواصلة التى تعنون لانهم كانوا يقولون الواصلة أن تكون المرأة بغيا فى شبيبتها فاذا شابت وصلته بالقيادة (وكانت كلمة) التى يضرب بها المثل فى القيادة صبية فى الكتاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت زنت فلما شابت قادت فلما أقعدت اشترت تيسا وكانت تنزيه بين يديها (ذكر المداينى) أن بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيعيدها فيأتى من يشفع فيها فيخرجها فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال لا يتكلم فيها الا زان فكان اذا كلمه فيها أحد قال اخرجوا قصتها حتى اذا قرئت قام الرجل مستحيا (وحكى يقظان بن عبد الاعلى) قال رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول ماجئتنى بهديه ما جئتنى بخلعة قط هل هو الا هذا الكرى فهبك لم تقدرين على شئ ما تقدرين على ولد فقالت هذه المرة أجيئك با بن فقال يازانية ان لم تصدقى لاضربنك ألف سوط فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك تحدمه فقلت لها وقد وفيت لمولاك قالت نعم ولكنى كم نا كنى رجل حتى جاءنى هذا الولد فقال مولاها صدقت فهل ينبت الحب الا أن يزرع فعجبت من كشخنة المولى وطيب نفس الجارية وهذا الباب أعزك الله أكثر من ان يحاط به ولكنى اختصرت لك من ملح أحاديثهم مافيه ممتع وستقف من الاثر التى أفردناها من أخبار القيان على كثير منه وقد قالت الشعراء فى الرسل فى الجاهلية والاسلام من ذلك قول حميد بن ثور الهلالى

خليلى انى مشتك ما أصابنى * لتستيقنا ما قد لقيت وتعلما
أمنتكما ان الامانة من يخن * بها يحتمل يوما من الله مأثما
فلا تفشيا سرى ولا تخذلا أخا * أبثكما منه الحديث المكتما
انتقضا الى بارك الله فيكما * الى أهل ليلى العامرية سلما
فان كان ليلا فالوناه هديتما * وان خفتما أن تعرفا فتلثما
وقولا نرجنا تابعين فأبطأت * ركاب تركناها بثليثت قيما
فان أنتما اطمأنتما وأمنتما * وأخليتما ما شئتما فتكلما
وقولا لها مانأمرين بصاحب * لما قد تركت القلب منه متيما

أبيـــنى لنا انا رحلنا مطينا * اليك وما رجوك الا توهما
ألا هل صدا أم الوليد مكلم * صداي اذا ما كنت رمسا وأعظما

((وقال المأمون لرسول بعث به))

بعثتـــك مرتادا ففزت بنظرة * وأغفلتنى حـــتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا * فياليت شعرى عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا فى محاسن وجهها * ومتعت باستماع نغـــمتها الاذنا
أرى أثرا منها بعينيك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فياليتنى كنت الرسول فأشتفى * وكنت الذى يعصى وكنت الذى أدنى

((وقال أبو الطيب المتنبى فى مثل ذلك))

مالنا كلنا جوى يارسول * أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما عاد من بعثت اليها * غارمنى وخان فيما يقول
أفسدت بيننا الامانات عينا * ها وخانت قلوبهن العقول
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل قلب دليل

((وقال بعض المحدثين))

ياسوء منقلب الرسو * ل مخبرا بخــلاف ظنى
انى أعيذك أن تكو * ن شغلتنى وشغلت عنى

((وأنشد لابى نواس))

يامن أتى من دون حاجته * بابا وأحراس به وكلوا
ثمر ثيابك قد شغلت بما * لو عم خلق الله لاشتغلوا
وانظر رسولا ذا ملاطفة * لولا مرارة غيه عسـل
ممن عليه غباوة وترى * أفعاله كالنار تشتعل
لا يحفلون به اذا خرجوا * من الابتذال ولا اذا دخلوا

((وأنشد أحمد بن عيسى الاهوازى فى قوادة))

تكاد لولم تكن انسية * تجرى من الانسان مجرى الدم
لا يعصم المقدار من كيدها * محــله فى الموضع الاعظـــم

((وأنشد لاخر أيضا))

اذا أردت ان تناجى غاده * من الغوانى صعبة المنقاده
فادسس لها عجوزا قواده * أدب فى الظلماء من جراده
قد انحنت من شدة العباده * تلوح فى جبينها السجاده
كالحسن البصرى أو قتاده * فى يدها سبحتها الصياده
قد أحكمت من شدة المراده * قد ألفت غرائب القياده
فانها تدخل كالمرتاده * بذكر كل غافل معاده
وتصف الشقاء والسعاده * حتى اذا انصبت لها الوساده
ولاحظت بعقلة وقاده * ثم خلت بالغادة المراده
تروضها بالعجم المقاده * حتى ترى طاعتها سعاده

《وقال أحمد بن أبى طاهر》

فأرسلتها أمضى من السيف مقدما * وأسرع من سيل بليل اذا احتفل
تدب دبيب النمل فى كل مفصل * لطافتها فى الرأى والقول والحيل
يذل لها الصعب الجموح قيادة * وتهدى الى طرق الضلال فلا تضل
يرى الفطن الداهى عليها عبادة * اذا ما رآها وهى أختل من ختل
يؤلف بين الاسد والشاء لطفها * ويستنزل العصماء من شعف القلل
ولو أنها شاءت باهون سعيها * لالفت الذئب الازل مع الجمل
ولو جبل رامت ازالة ركنه * برقيتها يوما لزل بها الجبل
يغر العيون زهدها وخشوعها * وتسبيحها عند الشروق وفى الاصل
تسهل ما قد كان وعرا طريقه * وتفتح ما قد كان غلقا وما قفل

《وأنشد لابن بشير》

وزوله فى الذى رامت يتاح لها * من التجارب أسباب المقادير
لا تحرز الخود منها ان تدب لها * مشيد محكم البنيان والسور
كأن فى قلب من يصغى لمنطقها * من سحرها نغمة لسب الزنابير
أخفى من الروح فى تأليف معصية * اذا تأملت من لطف وتقدير
قد ناطت الدهر مصحابا عصمها * تشجها بذوات البر والخير
خلت بواضحة الخدين مخطفة * كغصن بان رشيق القد ممطور

باتت تعللها في طول ليلتها * تقارب الخطو في ميل وبالطير
رفقا وتقليب عين عند كل فتى * يرنو بمقلتها أنفاس مبهور
مازلت أسألها حظا وترفع لي * في السوم حتى أجابت بعد تعسير
ابذل أصغر دهرا كنت أذخره * أزهو برؤيته زهو المياسير

((وأنشد لاسحق بن خلف البصري))

لو أن رقيتها في صخرة نطقت * أو اذن خرساء أضحت غير خرساء
أخفى من الروح اذ دبت لحاجتها * ولو تشاء مشت رفقا على الماء

((وأنشد الحمار)) ظلم الناس حسبنا * ورموه بالكبائر
ماله عيب سوى اصطلاحه بين العشائر

((وأنشد لعبد بن وهب))

قالوا ابن عمة قواد فقلت لهم * كذبتم ما أبو حفص بقواد
لكنه رجل يخليك منزله * بالدرهمين وما يبقى من الزاد

((وأنشد ابن الاعرابي))

هل من رسول لطيف * الى غزال عنيف
له سريرة ذئب * وسمت قس عفيف
تكامل الظرف فيه * ففاق كل ظريف

((ومن مليح ما قيل في هذا المعنى قول ابن الدمينة))

خليلي سيرا مسعدين فإنما * على حاضر الماء الذي تردان
ومرا فقولا نحن نطلب حاجة * ومرا فقولا نحن منصرفان

((باب خلق النساء))

اذا كانت المرأة ضخمة في تعمد وعلى اعتدال فهي ربحلة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبحلة فاذا كانت طويلة قيل جارية سبطة وعيطبول فاذا كانت بها مسحة من جمال فهي جميلة ووضيئة فاذا أشبه بعضها في الحسن بعضا فهي حسانة فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية فاذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوبا حسنا ولا قلادة فاخرة فهي معطال فاذا كان حسنها ثابتا كأنها وسمت به فهي وسيمة فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة ((وقالوا)) الصباحة في الوجه

الوضاءة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف
في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشعر والمرأة
الرعبوبة البيضاء والزهراء التي يضرب بياضها الى صفرة كلون القمر والبدر
والهيجان الحسنة البياض والمرأة طفلة مادامت صغيرة ثم وليدة اذا تحركت ثم
كاعب اذا كعب ثديها ثم ناهد اذا زاد ثم معصر اذا أدركت ثم خود اذا
توسطت الشباب والزجاء الدقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطا بقلم
والبلج أن يكون بينهما فرجة وهو يستحب ويكره القرن وهو اتصالهما والدعج
ان تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة والبرج شدة سوادهما وشدة
بياضهما النجل سعتهما الكحل سواد جفونهما من غير كحل الحور اتساع
سوادهما الشنب رقة الاسنان واستواؤها وحسنها الرتل حسن تنضيدها
واتساقها التفليج تفرج ما بينهما الشتت تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن
يقال منه ثغر شتيت الاشر تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة الظلم الماء
الذي يجري على الاسنان من الريق الجيد طول العنق التلع اشرافها واذا
كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي خود واذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى
فهي بهكنة فاذا كانت دقيقة المحاسن فهي مملودة فاذا كانت حسنة القد لينة
العصب فهي خرعبة واذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضا فهي مبتلة فاذا كانت
لطيفة البطن فهي هيفاء وخمصانة فاذا كانت لطيفة الكشحين فهي هضيم فاذا
كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة فاذا كانت طويلة العنق في
اعتدال وحسن فهي عطبول فاذا كانت عظيمة العجيزة فهي رداح فاذا كانت
سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة فاذا كانت سمينه رتج من سمنها
فهي مرمارة فاذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهه فاذا كانت
كأن الماء يجري في وجهها فهي رقراقة فاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة
فهي بضة فاذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي نضرة فاذا كان فيها فتور عند
القيام لسمنها فهي اناة ووهنانة فاذا كانت طيبة الريح فهي بهنانة فاذا كانت
عظيمة الخلق مع الجمال فهي عرهرة فاذا كانت ناعمة جميلة فهي عبقرة فاذا كانت
متثنية للين وتعمد فهي غيداء وغادة فاذا كانت طيبة الفم فهي رشوف فاذا

كانت

كانت طيبة ريح اليد فهى أنوف فاذا كانت طيبة الخلوة فهى رصوف فاذا كانت
لعوبا ضحوكا فهى شموع فاذا كانت تامة الشعر فهى فرعاء فاذا لم يكن لمرفقيها
حجم من سمنها فهى درماء فاذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهى لفاء فاذا كانت
حيية فهى خفرة وخريدة فاذا كانت منخفضة الصوت فهى رخيمة فاذا كانت
محبة لزوجها متحببة اليه فهى عروب فاذا كانت نفورا من الريبة فهى نوار فاذا
كانت تجتنب الاقذار فهى قذور فاذا كانت عفيفة فهى حصان واذا كانت
عاملة الكفين فهى صناع فاذا كانت كثيرة الولد فهى بنون فاذا كانت قليلة الولادة
فهى نزور فاذا كانت تلد الذكور فهى مذكار فاذا كانت تلد الاناث فهى مئناث
فاذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى فهى مهاب فاذا كانت لا يعيش لها ولد فهى
مقلات فاذا كانت تلد النجباء فهى منجاب فاذا كانت تلد الحمقاء فهى محمقة فاذا
كانت يغشى عليها عند الجماع فهى ربوخ والممكورة المطوية الخلق واللدنة اللينة
الناعمة والمقصد التى لا يراها أحد الا أعجبته والخبرنجة الجارية الحسنة الخلق
فى استواء والمسبطرة الجسيمة والعجزاء العظيمة العجيزة والرعبوبة الرطبة
والرجراجة الدقيقة الجلد والركة الكثيرة اللحم والطفلة الناعمة والرود
المتثنية اللينة والاملود الناعمة ومثلها الخرع مأخوذ من نبت الخروع وهو
نبت لين والبراقة البيضاء الثغر والدهمة السهلة والعاتق التى لم تتزوج
والبلهاء الكريمة والمغفلة عن الشر العزيزة والعيطموس الفطنة الحسناء
والسهلة الخفيفة اللحم والمجدولة الممشوقة والسرعوفة الناعمة الطويلة
والقبصاء والعقاء الطويلة العنق والتهانة أيضا الضاحكة المتهللة والغيلم
الحسناء والخليق الحسنة الخلق وقال الفراء هى أحسن الناس حيث نظر ناظر
أى هى أحسن الناس وجها وقال أبو عمرو يقال للمرأة اذا كانت حسناء كأنها
فرس شرهاء والشرهاء الحديدة النفس وامرأة حسنة المعارف ومعارفها وجهها
والمصرية الحسنة المشية فى خيلاء والشموس التى لا تطمع الرجال فى نفسها وهى
الذعور وامرأة ظمياء اذا كانت سمراء أو شفة ظمياء كذلك ويقال انها الحسنة
العطل أى الجسم ويقال غبقة أى التى يشا كلها كل الناس (ونذكر) اختلافات
الناس فى الثدى والعجز والمجدولة من النساء والصهمة الطويلة والغضيضة

واختلاف شهواتهم فى الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمنكسرة ومن استحسن الثدى الضخم الذى يملأ الكفين ومن ذم ذلك ومن وصف الشحم عبد بنى الحسحاس حيث يقول

توسدنى كفا وترفع معصما * علىّ وتحنو رجلها من ورائيا
أميل بها ميل النزيف وأتقى * بها القطر والشفان من عن شماليا

فمعصم لم يتخذ هاهنا فانستر عنه الريح والقطر الا وهى فى غاية الضخم (وقال أبو عبيدة) دخل مالك الاشتر على على بن أبى طالب رضى الله عنه فى صبحة بنائه على بعض نسائه فقال كيف وجد أمير المؤمنين أهله قال كالخير من امرأة لولا انها خناء قباء قال وهل يريد الرجال من النساء الا ذلك يا أمير المؤمنين قال كلا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع فهذا يدل على العجب بالضخم والشحم وأكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدمون المجدولة فهى تكون فى منزلة بين السمينة والمشوقة مع جودة القد وحسن الخرط ولا بد أن تكون كاسية العظام واغما يريدون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول لذلك قالوا خمصانة وسيفانة وكأنها جدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران والتثنى فى مشية المرأة أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة ووصفوا المجدولة فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب وقال بعض الاعراب

لها قسمة من خوط بان ومن نقى * ومن رشا الغزلان جيد[٣] ومذرف
يكاد كليل الطرف يكلم خدها * اذا ما بدت من خدرها حين تطرف

(وقال آخر)

ومجدولة جدل العنان اذا مشت * تنوء بخصريها ثقال الروادف

(وقال آخر)

ومجدولة أما مجال وشاحها * فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر السارى نصيب وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب

(وقال أبو نواس وقد أحسن ما شاء)

٣ قوله ومذرف يعنى به العين اه من هامش

أحللت من قلبي هواك محلة * ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التي في مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

((وأما قول الاعشى حيث يقول))

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقد وصفها كما ترى بالضخم ولكنه يذكر افراطا وقال الاحوص

من المدمجات اللحم جدلا كأنها * عنان صناع أنعمت ان تجودا

(قال أبو عثمان الجاحظ) كان أبو معمر بن هلال يقول عذرت الرجل الطويل الاير حتى يتمناها ضخمة ولكن ما عذر الصغير الاير في ذلك وفي اختلافهم في الثدى أنشد للمرار بن سعد

صلبة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدى ولما ينكسر

((وقال النابغة في النهود))

يخططن بالعيدان في كل مقعد * ويخبأن رمان الثدى النواهد

((وقال آخر أيضا))

وثديين كالرمانتين تجنه * غذاها السرى فهي ذات ثمار

((وأنشد لمسلم بن الوليد))

فاقسمت أنسى الداعيات الى الصبي * وقد فجأتها العين والستر واقع
فغطت بايديها ثمار صدورها * كايدى الاسارى أثقلتها الجوامع

وذم أعرابي امرأة فقال والله ما بطنها بوالد ولا شعرها بوارد ولا ثديها بناهد ولا فوها ببارد وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال اخطب على عبد الملك امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها أمة لبعلها فكتب اليه أصبتها وهي خولة بنت مسمع لولا عظم ثديها فكتب اليه الحجاج لا يحسن بدن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع

((وقال آخر يذم عظم الثدى))

لعمري لبيض يحتلن بقفرة * لطائف ثدى الصدر غيد السوالف

أحب اليتامى من ضخام بطونها * لا بأبطها تحت الثدى تعاطف

وقال آخر فى الممسوحة التى لم يبد بصدرها شئ

وعلقت ليلى وهى بكر خريدة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

((وقال نصيب))

ولولا أن يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشء الصغار

بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار

اذا ما الزل ضاعفن الحشايا * كفاها أن يلاث بها الازار

((وقال ذو الرمة))

بعيدات مهوى كل قرط عقدته * لطاف الحشا تحت الثدى الفوالك

((وذكر آخر ابتداء النهود فقال))

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين شبت واستبان نهودها

وليس فى الحيوان شئ واسع الصدر غير الانسان ولا فى جميع الحيوان أنثى فى صدرها ثدى الا المرأة والفيلة وكذلك الرجل والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الاعناق قال الشاعر

ومن كل شئ قد قضيت لبانتى * سوى ضخم اعجاز ثقال الروادف

وهصرى اعناقا تلين وتنثنى * كما لان خيطان الاراك الصعائف

((وقيل لابراهيم بن النظام)) أى مقادير الثدى أحمد قال وجدت الناس يختلفون فى الشهوات وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد وقالت العرب يسار الكواعب ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك ولم أرهم يختلفون فى مدح عظم الركب كما اختلفوا فى مقادير الثدى فى طول الاعناق يقول الشمردل

ويشبهون ملوكا فى مهابتهم * وطول أنصبة الاعناق والامم

((وقال آخر)) طوال أنصبة الاعناق لم يجدوا * ريح الاماء اذا راحت باذفار

وهو حسن ما لم يطل جدا فاذا أفرط كان عيبا كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمى عنق نعامة وعيب بذلك جعفر بن يحيى البرمكى وكذلك قال فيه

الحسن

الحسن بن هانئ ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كانه ناظر فى السيف بالطول
وقد زعموا أنه أول من اتخذ هذه الاطواق العراض فاستحسنها الناس بعده
فاتخذوها وفى صفة الاعكان يقول يزيد بن معاوية

لها عكن بيض كان غضونها * اذا كشف عنها السابرى قداح

((وقال أبو الطيب المتنبى))

يضمها المسك ضم المستهام بها * حتى يصير على الاعكان اعكانا

((وقال آخر أيضا))

غراء واضحة اقراب خرعبة * طوع العناق فلا بكر ولا نصف

((وقال النابغة الذبيانى))

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والنحر ينفجه بثدى مقعد
محطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد
واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشا المحصد

وأنشد لاعرابى أيضا

لما رأت ان الرحيل قد حان * قامت تهادى فى رقيق الكتان
بواضح الوجه قليل الخيلان * وعكن مثل متون الغزلان

((وقال الفرزدق))

اذا بطحت فوق الاثافى رفعتها * بثديين فى صدر عريض وكعثب

فزعم أنها اذا بطحت على وجهها لم تمس الارض بشئ من سائر جسدها الا نهود
ثدييها وعظم ركبها فصارت لبدنها كاثافى القدر وقال عبد بنى الحسحاس

من كل بيضاء لها كعثب * مثل سنام البكرة المائل

وحلف ابن مطيع الليثى الشاعر أن جاريته خردانه كانت تستلقى على ظهرها
فتخفض كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان والاترج من تحت
خصرها قالوا كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرة الماء على رأسها فلا يصيب
فخذيها للبدعة عجزتها قال الشاعر

نفج الحقيبة لا ترى لكعوبها * حجما وليس لساقها ظنبوب
عظمت روادفها وسهل وجهها * والوالداك نجيبة ونجيب

ومن مليح ما قيل في هذا القول قول الاعرابي

أبت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وأن تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسده وهجن غيورا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك من النساء ويستحسنونه قال ذو الرمة وتختلق للملك أبيض قد غمر * أشم اجل العين كالقمر البدر

لما أنشد بشار بن برد قول الشاعر

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا لمسوها بالاكف تلين

فهلك بشار من قوله عصا خيزرانة وقال لو زعم انها عصا زند أو عصا ندلهجنها وكان ذلك خطأ بعد ان جعلها عصا فهلا قال كما قلت

اذا قامت لسبحتها تثنت * كان عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك خلف عليها بعد عبد العزيز قال لو أن رجلا ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء للينها وقال بشار

اذا مشت نحو بيت جارتها * قلت من الرمل خلفها حقف
يرتج من مرطها مؤزرها * وفوقه غصن بانة قصف

وقد قيل في الضخمة

قليلة لحم الناظرين يزينها * شباب ومخفوض من العيش بارد
أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم * اليه ولكن طأطأته الولائد

وقال آخر أيضا ضوء برق بدا لعينيك أم شبوب بذي الاثل من سلامة نار

أوقدتها بالمسك والعنبر اللد * ن فتاة يضيق عنها الازار

وأنشد أيضا وتبدي على المتن من شعرها * عناقيد كرم تدلين سودا
ويجري السواك على بارد * لذيذ من الدر يبدي نضيدا
وما زانها العقد لكنها * تزين بالحسن منها العقودا
كشمس الضحى بين أترابها * توافين يوما ليشهدن عيدا
فكم من قتيل بتلك العيون * وكم من قتيل تولى عميدا
فان يك عيني قد قلبها * فلم يجعل الله قلبي حديدا
أعيذك بالله ان تشمتي * بنا واشيا أو تطيعي حسودا

(وقال جران العود) وقد تزوج امرأة فلقي منها برحا وكانت حسنة الشعر فقال

الا لا يغــرن امرأً نوفلية * عـلى الرأس منها أو ترائب وضح
ولا فاحم يسقى الدهان كانه * أساود يزهاها بعينيك أبطح
النوفلية مشط وأنشد لآخر
لا تنـــه قلبك أن يتوق الى الحما * ان القلوب الى سعاد تتوق
فرعاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو جثل مونق
فكأنه ليــل عليها مغـدف * وكأنها فيه نهار مشرق
((وأنشد لآخر))
مقـدودة ما ان لها مثـل * لى عندها العبرات والخبل
فلشعرها من شعرها رجل * ولعينها من عينها كحـل
ان شئت قلت اذا هي انصرفت * بين الروادف والحشا فصل
((وأنشد لآخر وذكر طول العنق))
وأعجبني منها غـداة لقيتها * تبلبل أرداف لها ومحاجر
وجيد كما لود الرخامى رعاية * بنهله صبت عليه الغدائر
وقد وصفوا الافواه والريق والشفاه قال بعضهم
ومقبل عـذب المذاق كأنه * برد تحدر من غمام ماطر
هــن الدواء لداثنا وشفاؤنا * من كل داء باطن أو ظاهر
((وقال ذو الرمة)) لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثاة وفى أنيابها شنب
والعرب يزعمون أن أطيب الافواه أفواه الظباء كما أن أبعارها أطيب رائحة من سائر الابعار ويزعمون أن ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا فى الناس أطيب أفواها من الزنج ويزعمون أن علة ذلك كثرة الريق لان علة الخلوف جفوف الريق والبخر يحدثه الكبر وقد اعترى أشرافا من الناس (قال) سار أبو الاسود الدؤلى عبيد الله بن زياد فلما أدنى فاه من أنف عبيد الله نخر أنفه عبيد الله فجذب أبو الاسود يده فخصاها وقال انك والله لن تسود حتى تصبر لسرار الشيوخ البخر فعجب الناس من جلده ومراسه والافواه الموصوفة بالنتن أفواه الاسود وأفواه الصقور (والشعوبية) وغيرهم ينهون عن السواك وقالوا انما يعترى الخلوف من يستاك والمرء من يكتحل والشعث من يدهن وزعموا أن

السواك يقلقل الاسنان ويأكل ماعليها من اللحم أعنى اللثة ويذهب العمور
التى بينها ويرخيها وقال حسين بن مطير

مرتجة الارداف هيف خصورها ✽ عذاب ثناياها عجاف قيودها

يريد أنها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها عن
أماكنها وزعموا أن السواك يجلب ماء الوجه فيبقى على الايام نضرة اللون وحمرة
الوجنات كما يصنع طول رضاع الطفل فى لبة المرأة وفى لون وجهها فاذا تحلب الماء
المستكن فى الغلاصم والافواه أعقب ذلك الافواه جفوفا فاذا جفت لعدم الريق
أورثها خلوفا فقال من رد على هؤلاء قد علمنا أن من أعظم الامم التى عليها مدار
الامور فى العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك
يورث البخر لم تكن هاتان الامتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدة الغزل بالنساء
والتقرب الى قلوبهن والاستهتار بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش
فمن أحب أن يعرف افراط العرب فى الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ أشعارهم
وأحاديثهم الاسلامية وليقرأ كتب الهند فى الباه ولو تتبعت أشعارهم فى
استعمال النساء للسواك اطال به الكتاب ((وعن عمرو بن دينار)) قال سمعت
الحسن بن على عليهما السلام يقول لزريح بن سنة حل لك ان فرقت بين قيس
ولبنى أما انى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أبالى مشيت الى الرجل
بالسيف أو فرقت بينه وبين امرأته ((قال الزبير بن بكار)) دخلت عزة على أم
البنين بنت عبد العزيز فقالت أقسمت عليك لتبالى ما الذى وعدت كثيرا حيث يقول

قضى كل ذى دين فوفى غريمه ✽ وعزة ممطول معنى غريمها

قالت لها وعدته قبلة فمطلته سنة فلما ألح فى التقاضى هجرته فقضى واياه طريق
بعد حين فاستحييت منه فقلت حياك الله يا جمل ولم أحيه فقال

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت ✽ فحى ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لى فأجعلها ✽ مكان يا جمل حييت يا رجل

وهو على تقاضيه الى اليوم قالت أقسمت عليك الا قضيته اياها واثمه فى عنقى
((أبو عبيدة)) قال كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل
لها أربعة آلاف درهم فأبى أبوها أن يزوجها منه وأحدث البادية فدخل ابن
عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى فقال له قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف

درهم فاعطنا اياها فانت أحب الينا القرابتك قال له أجلني شهرا فاجله ولم يكن مع الفتى الا ناقة فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن عليه فلم يؤذن له فقال انى رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز فادخل عليه من ساعته قال معك كتاب من فلان قال لا قال فرسالة فانشأ يقول

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن * أدلى اليك بلا قربى ولا سبب
مدله عقله من حب جارية * موصوفة بكمال الحسن والادب
خطبتها اذ رأيت الناس قد لهجوا * بذكرها والهوى يدعو الى العطب
فقلت لى حسب زاك ولى شرف * قالوا الدراهم خير من ذوى الحسب
انا تريد الوفاء منك أربعة * ولست أملك غير الحلس والقتب
فامنن على أمير المؤمنين بها * واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك بعد الله مطلب * أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وأمر له باربعة آلاف درهم وقال هذا صداق أهلك وزاده أربعة آلاف أخرى وقال له أولم بهذه وأنفق عليها منها فقبضها ومضى فتزوج بالجارية

((وكان)) اسحق بن سليمان بن على شابا ظريفا محبا للشعر فخرج ذات يوم وأبوه يلى البصرة لابى جعفر المنصور متنزها الى ناحية البادية فلقى أعرابيا فصيحا الا أنه شاحب اللون مصفر ظاهر النحول فاستنشده فمضى عنه فقال له مابالك فوالله انك لفصيح قال له أما ترى الجبلين قال قلت بلى قال فى ظلالهما ماشغلنى عن انشادك قلت وماذاك قال ابنة عم لى قد تيمتنى وأذهلت عقلى وتالله انه ليأتى على لا أدرى أفى السماء أنا أم فى الارض قال قلت وما يمنعك منه قال قلة ذات يدى قلت وكم مهرها قال خمسون ناقة قال قلت فيزوجونك اذا دفعتها قال نعم فقلت له أنشدنى مما قلت فيها فانشدنى

سعى اعلم الفرد الذى فى ظلاله * غزالان مكحولان يرتعيان
أرعتهما صيدا فلم أستطعهما * وختلا ففاتانى وقد ختلانى

قال فقلت له يا أعرابى لقد قتلتنى بقتلك فنفيت من العباس ان لم أقم بامرك فرجع الى البصرة فاخذ جماعة من أهله وما احتاج اليه وحمل معه الاعرابى وسار الى الجارية فخطبها الى الفتى فزوجه وساق اليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام

فصرفيها ثلاثين جزورا ووهب للاعرابي وللجارية مثل ذلك وانصرف الى البصرة (قال نفطويه) لما فرغ المهدي من بناء قصره ركب للنظر اليه فدخله فجأة وأخرج من هنالك من الناس فبقي رجلان خفيان عن أبصار الاعوان فرأى المهدي أحدهما وهو دهش ما يفعل فقال له من أنت قال أنا أنا قال ويلك قال لا أدري قال لك حاجة قال لا قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه فلما خرج قال لبعض الغلمان اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله فاسئل عن صنعته فاني أخاله حائكا فخرج الغلام فقفوه ثم أتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جرىء ولسان طلق قال له من أنت قال له رجل من أبناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ههنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن وأتمتع بالنظر اليه وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام النعم وهلاك الاعداء قال له أفلك حاجة قال نعم خطبت ابنة عمي فردني أبوها وقال لا مال لك وانى لها عاشق وبها وامق قال قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه وآخر أيامك خيرا من أولها وأمتعك بما به أنعم عليك وأمتع رعيتك بك فامر أن تعجل صلته ووجه بغلام آخر معه قال سل عن مهنته فاني أخاله كاتبا فرجع الرسولان جميعا فقال الرسول الاول وجدت الرجل حائكا ولم يرجع اليه قلبه ولا ثاب اليه نفسه وقال الآخر وجدت الرجل كاتبا فقال المهدي أنا ابن المنصور لم يخف عني مخاطبة الكاتب والحائك (قال أحمد بن أبي خيثمة) أخبرتني مولاة كانت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور قالت علق عيسى بن جعفر جارية لام ولده فمنعتها اياه غيرة عليه وتبعتها نفسه فدست جارية لعيسى يقال لها برير الى مولاتها في ان تبيعها منه وارغبتها فباعتها منها فأخذتها برير فغالية فصنعتها وكانت برير من عيسى ليلة فوجه اليها بخلعة وبقدح غالية تضمخ به شعرها فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت رأسها ووجهت بها اليه فلما رآها سألها عن حالها فاخبرته بالخبر وانها آثرت هوى نفسه على هوى نفسها فسر بذلك ودعا برير فأعتقها وتزوجها ومهرها ضياعا بالكوفة لها قدر فقالت برير ان من شكر الله على ما وهب لي من رأى أمير المؤمنين ان أجعل ما أعطاني من هذه الضياع قربة لله عز وجل تجري للامير ولي أجرها فأوقفتها على أهل بيت من الانصار منهم ابن معاذ فلم يزل ذلك

يجري

يجرى عليهم ((قال ابراهيم)) بن المهدى حججت مع الرشيد فلما كنا بالمدينة خرجت الى العقيق أسير على دابتى وليس معى غلام فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفى يدها دلو فقلا قربة لها فقلت ياهذه أسقنى فنظرت الى وقالت أنا مشغولة عنك فقرعت قربوسى بمقرعتى موقعا على القربوس وغنيت فلما سمعت ذلك منى ملأت دلوها وبادرت به الى وقالت اشرب ياعم فشربت فقالت بالله ياعم أين أهلك أحمل اليهم هذه القربة فقلت بين يدى فمضت معى حتى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم زعرت فقلت لها لابأس عليك وأخذت الماء وأمرت من وصلها فقال لى الغلمان قد جاء رسول أمير المؤمنين مرارا فمضيت اليه فقال لى أين كنت فاخبرته بخبر الجارية فأمر بطلبها فاتى بها فأمر بابتياعها من مولاها وأعتقها وقال لها من تؤذينه ويؤذيك وتحبينه ويحبك قالت نعم عبد لآل فلان فأمر بابتياعه وأعتقه ثم زوجها اياه وأمر لهما بمال (حج الرشيد) سنة احدى عشر من خلافته فلما نزل بالكوفة بعد قفوله من الحج دعا اسمعيل بن صبيح فقال انى أردت الليلة أن أطوف فى محال الكوفة وقبائلها فتأهب لذلك قلت نعم فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه وركب حمارا وركبت أنا آخر ومعى خادم ومعه خادم من خاصة خدمه فلم نزل نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا الى النخع فسمعنا كلاما فقال الرشيد لاحد الخادمين أدن من الباب وتعرف ما هذا الكلام فتطلع من موضع فى الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنشد شعرا وتردد أبياته وتتبع كل بيت برنة وأنة وتبدى زفرة وتفيض عبرة والنسوان اللواتى معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها هذه الابيات

هل أرى وجه حبيب شفنى * بعد فقدانيه افراط الجزع

قد برى شوقى اليه أعظمى * وبلى قلبى هواه وفزع

ليت دهرا مر والقلب به * جذل والعيش حلو قد رجع

وعفت آثاره منه فما * ليت شعرى ما به الدهر صنع

قد تمسكت على وجدى به * بجميل الصبر لو كان نفع

فقال للخادمين اعرفا الموضع الى غد ورجعنا الى البصرة فلما طلع الفجر وفرغ من صلاته وتسبيحه قال للخادمين امضيا الى الدار فان كان فيها رجل من وجوه الحى

يقيا به حتى أسئله عما أريده فسار الخادمان الى الدار فلم يجدا فيها رجلا فدخلا الى مسجد الحى فقالا لاهله أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أحببت أن يجيئنى منكم أربعة لأسئلهم عن أمر قالوا سمعا وطاعة وقاموا معهما فدخلوا على الرشيد فقربهم وأدناهم وقال لهم انى طفت البارحة فى بلدكم عناية منى بأموركم وتفقدا لاحوالكم فسمعت فى دار من دياركم امرأة تنشد شعرا وتبكى وقد خفت أن تكون مغيبة وأن نزاع النفس أهون من نزاع الشوق وقطع الاوصال أهون من قطع الوصال وقد أحببت أن أعرف خبرها منكم وآخذ حقيقة أمرها عنكم قالوا يا أمير المؤمنين هذه امرأة يقال لها البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوجها ابن عم لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم فهلك أبواهما من قبل أن يجتمعا فاكتتب زوجها مع عاملك الى اليمن لقلة ذات يده وخرج منذ خمس سنين فحزنت عليه وطال شوقها اليه وقد قالت فيه أشعارا فهى تنشدها وتستريح الى ذكره فأمر الرشيد من ساعته أن يكتب الى عامله باليمن فى حمل سليمان بن همام على البريد الى حضرته الى مدينة السلام ببغداد فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل عليه اسمعيل بن صبيح فقال يا أمير المؤمنين قد ورد كتاب صاحب اليمن على البريد مع الفتى الذى أمرت بحمله اليك قال فأمر بحمله وادخاله عليه فنظر الى رجل معتدل القامة ظاهر الوسامة ذرب اللسان حسن البيان فقال أنت سليمان بن همام قال نعم يا أمير المؤمنين قال له اقصص على خبرك فقص عليه خبره فوجده موافقا لما خبره به الاربعة النفر فأمر له بعشرة آلاف درهم يولم بها وعشرة آلاف أخرى يدخرها فأخذ جميع ذلك من يومه ورحل الى الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده بصلته وبره * تم كتاب النساء بعون الله واحسانه والحمد لله وحده والصلاة والسلام على محمد نبيه وآله وسلم آمين

بحمده تعالى تم طبع هذا الكتاب المستطاب بمطبعة التقدم العلمية التى مركزها بدرب الدليل بمصر المحمية (ادارة حضرة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه) وذلك فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ١٣١٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية